

ٲٲوڊٲسٲا

ثيوديسيا

"آخر سلالة هوميروس"

رواية

محمود يوسف

تصميم الغلاف: محمد محسن

رقم الإيداع: 2001/ 2020

I.S.B.N:978-977-6640-67-2

الطبعة الأولى 2020م



للنشر والتوزيع

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آيتة سعد الدين

مدير النشر: د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01147633268 - 01099387500

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com

Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة ©

محمود يوسف

ثيوديسيا

"آخر سلالة هوميروس"

رواية



(مقدمة)

(كانت المعركة في أوجها لما تدخل الساموراي السبعة والأربعين فجأة من اللاشيء يواجهون في شجاعة ذلك التنين المجنح الذي كان ينفث النار بدلاً من دخان السجائر الرخيصة..

تنين يدخن السجائر الرخيصة؟ ألم يعطه الملك نقودًا ليغير ذلك النوع الرديء؟

هذا ليس وقتًا للسؤال..

لقد ركله "هرقل" بعيدًا كالكرة وسط اندهاش الساموراي السبعة والأربعين وتصفيقهم الحاد..

ثم صرخوا في استهجان لما ضربه أخوه "أطلس" على ظهر يده قائلاً: (كخ.. كخ..)

ثم اختفى الجميع..

يخبرني هذا المنبه بنور خافت أنها الحادية عشرة قبل منتصف الليل..

ولماذا أسمع الكثير من الجلبة بالخ.

بالخ.

..ارج

اللجنة على الطعام الدسم

(بوليفيموس وهرقل إخوة؟ إذًا بوليفيموس هو أخ لـ أطلس؟..

لماذا إذًا لم يرتادا ذات المدرسة؟

ألهدا علاقة بأن الكيكلوبس باعو بوليفيموس؟ أم أن له علاقة بأن
أوديسيوس مخادع؟

لماذا يخدع الجميع بوليفيموس؟

حتى أن أبوه قد تنكّر له!

حسنًا.. سأتبناّه وأقدّم له وجبة شهية من الـ..)

ثم اختفى الجميع..

عذرا يا سيد "بوليفيموس" أنا لست نذلاً كالجميع ولكنها تلك
الضوضاء مجدداً..

عقارب المنبّه تشير إلى الحادية عشرة وسبع دقائق..

صدق من قال إن الحلم قد يأخذ خمس ثوان فقط من نومك..

ثم انتفضت من الفراش لما أدركت أن تلك الجلبة قريبة جداً..

قريبةً لدرجة أنها في هو البيت في الطابق الأرضي..

اللجنة على شطائر الفول التي يحضرها لي خفير العزبة، لقد
شككت حينها أنه يتعمّد وضع المنوم لي داخلها..

كنت أبحث عن النظارة طلباً لرؤية أوضح حتى أهبط الدرج وأرى
ما يحدث بالضبط.. ولماذا النظارات؟ سؤال وجيه أترك إجابته لأي
شخص يحتاج النظارات حتى يرى العالم بشكل أوضح..

ثم هبطت الدرج في شموخ شخص لم يجد نظاراته ويضيق عينيه
كثيراً حتى يحدّد بالضبط ملامح الأشخاص الواقفين في اليهود..

هما شخصان ولا شك.. ولكن أحدهما مجنّح أم أن هذا حلم

آخر؟!!

قصة "كوركيس"

بدأ الأمر منذ عام تقريباً قبل وفاة جدّي . رحمه الله - بيوم واحد عندما أصرّ على أن يقصّ عليّ ذات القصة العجيبة وهو يحاول أن ينحت قلمًا من الخشب بأدواته الدقيقة..

جدّي: هل سمعت يوماً عن "ثيفا"؟

قلت في استنكار وأنا أنظف المكتبة فوق رأسه: لا يا حاج "زين"

ابتسم دون أن يرفع رأسه: هي مدينة يونانية اسمها "طيبة"

: "ثيفا" هي مدينة يونانية اسمها "طيبة"؟ هذا منطقيّ

ثم تناولت بعض الكتب وهبطت السلم الخشبيّ وأنا أقول: مجدداً اليونان يا حاج "زين"؟ هل أنت واثق من أن لنا جذوراً يونانية يا حاج؟ تنهّد جدّي في شوق قائلاً: نعم يا بنيّ وقد حان الوقت لتعرف شيئاً عن جذورك

قلت وأنا أنفض التراب عن بعض المجلدات في يدي: كلّي أذان صاغية..

هي قصة دوّمًا ما يقصّها جدّي عليّ وعلى والدتي من قبل ولكنتي لا أجد ضرراً في أن أستمع له حتى ولو كان يقصّها للمرة الألف في حياته..

قال: ("ثيفا" و"أثينا" هما مدينتان يونانيتان كانتا تتحالفا للوقوف أمام "فيليب المقدوني" في عام 338 ق..م.. وكان الاستعداد قد بلغ أشده لدرجة أن المشاعل كانت تحيل الليل إلى نهار تلو النهار.. وكأن العالم يترقب نتيجة ذلك الصراع..

كان الرجال أشدّاء بحقّ، وكانت عزيّمتهم أحدّ من سيوف أعدائهم..
ينفضون غبار التدريب عنهم في سعادة بالغة، يركلون بقايا سيوف
تكسّرت في أيديهم وببصقون على أرض لم تنجب أقوى منهم في رأيهم..
ثم يمضون جميعًا ويبقى ذلك التعسّ..

"كوركيس"، قائد الفيلق..

بالرغم من قوّة بنيانه وصلابة عوده إلا أنه الآن يملك قلبًا رقيقًا
غاضبًا يستعر ألمانًا..

كانت كفّه تسحق الأعناق سابقًا..

كان أحيانًا ما يمتطي جواده كالمجنون لا يحمل سوى درع يغوص به
في جيوش الأعداء يضرب رؤوس الخيول بقبضته ويدهس الفرسان
بحصانه الضخم..

كانت جنوده تخشاه لما يعود من أرض القتال مليئًا بالطعنات وهو
يضحك..

كان لقبه "زيوس"..

ولكنّه الحبّ دائمًا..

بغضب أفرغ الجنود من حوله لما نادى على "أندريه" بصوته
الأجشّ: أحضر لي "زيناس".. أحضر ذلك الساحر وإلا أقسم بقبر أمّي
أنّي سأسحق عظامكما معا..

هرع "أندريه" النحيل - "طعام الدجاج" كما يصفه أصحابه - إلى
خيمة "زيناس" يأمره في ارتباك واضح أن يحضر فورًا إلى "كوركيس"..

تعجّب الساحر الشاب إذ أن القادة لا يعلنون حاجتهم للسحرة على
الملاأ!.. إذًا فالأمر جليل هذه المرة..

خرج "زيناس" يجزّ عباءته البنيّة ومن خلفه "أندريه" يركض تحت خوذته الثقيلة قاصدان صخرة "كوركيس" في أرض التدريب..

"زيناس": سيدي، لقد أخب..

"كوركيس" غاضباً: أمهلتك ثلاثة أيام.. أين هي؟ أين "ساندرا"؟

ولمّا صمت "زيناس" طويلاً، أردف "كوركيس" وهو يعتصر ضروسه: لأجعلنّ منك عبرة يقصّها التاريخ هذه المرّة..

مرّ أسبوع على "زيناس" وهو معلق من أطرافه كالأضحية، تحرقه الشمس، يشكو حلقة قلّة المياه وتقرقر معدته من ندرة اللقيمات التي تلقى في حلقة حتى يظلّ حيا..

أندريه: أ.. أليس من الأفضل أن تعطي "كوركيس" طلبه؟ لقد مزقت أوصال قلبي بحالك تلك

ابتسم "زيناس" بوجه محترق: إ.. إن ما.. يطلبه "كوركيس" مس.. مستحيل..

رفع "أندريه" حاجبيه من تحت خوذته الثقيلة: مستحيل؟ هل هناك ما تعجز عنه؟ أنت ساحر بن ساحر مختار من الآلهة

رفع "زيناس" عينيه الذابلتين: عندما تطلب الحياة فهو الهلاك بعينه

حكّ "أندريه" خوذته غير فاهم: الحياة؟

"زيناس": ط.. طلب مس.. منّي أن أحيي "مس.. ساندرا" مجدداً

أندريه: أها، إذا تلك اللعوب الـ..

ثم ساد الصمت للحظات يحاول فيها "زيناس" أن يدرك ما يجري حوله بأذنين لا تسمعان "أندريه" الذي كان يتحدث جواره.. ولكن عيناه أدركت ما حدث..

لقد عاش "أندريه" النحيل بحظ عاثر دوّمًا لم ينفك عنه ولو للحظة.. حتى عندما سبّب "ساندرا"، كان "كوركيس" يقف خلفه مباشرة..

أرقد في سلام يا "أندريه" وليحرص من يملك أن يضع رأسك مع باقي جسدك..

حقاً؟

كل ما احتاجه "كوركيس" هو حركة واحدة بقبضته لفصل رقبة "أندريه" عن جسده النحيل!!؟

إن مثل هذا لهو ما يعجز حتى الساحر عن فعله..

نظر "كوركيس" بذات الغضب إلى "زيناس" قائلاً: لن يعجزني جيش "فيليب المقدوني" عن سحق جمجمته هو وولده كما لن تعجزني أهلك عن سحق جمجمتك أنت وطفلك..

ارتبك "زيناس" لما سمع ذلك التهديد للمرة الأولى من "كوركيس".. طفله، هو نقطة ضعفه الوحيدة.. بل نقطة ضعف أسلافه من السحرة إذ أن لكل ساحر يولد طفلاً واحداً فقط.. ولو مات مقتولاً، فهذا يعني ميلاد طفل آخر له نفس الشكل بالضبط ولكنه ملعون..

"زيناس" مرتبكاً: لـ لا أرجوك.. إلا الطفل.. أرجوك

قال "كوركيس" غير مبالي: سأزبن ثلاثة أركان في "خايرونيا" عندما أعود، أحدهما بطفلك والأخران بـ"الإسكندر" ووالده. ثم أشاح وجهه بعيداً- أعود فأجد "ساندرا"..

ثم تلاشى خلف غبار الجيش الزاحف..

تلاشى ولم يجد "زيناس" بدًّا من الترحال مجدداً..

رحل بطفله من ذلك الزمان لزمان آخر، لبلد آخر وأناس آخرين..

رحل ليبدأ حياة جديدة وينج بطفله.. فهو لا يريد أن يكون آخر
ساحر ذي سبّابة يسرى مثقوبة.. ولا يريد أن يولد له طفل ملعون
بسبّابة يمى مثقوبة..

أما "كوركيس"، فهو لم يفتقد "ساندرا" بعد ذلك، لأنه لم يعد من
الحرب..

فقد زَيْن "الإسكندر" أحد أركان "خايرونيا" برأس "كوركيس"..

دخلت أُمّي تحمل فنجانين من القهوة لي ولجدي وهي تهمس في
أذني: ذات القصة؟ الساحر وكولكيس؟

قلت في ملل: "كوركيس" يا أُمّي، شكراً على القهوة

قالت أُمّي في شفقة: هل تظن أن جدّك قد فقد عقله أم أنها
أمراض الشيخوخة؟ منذ مات أبوك وهو يقصّ تلك القصة العجيبة..

ثم دار حوار هامس بيني وبين أُمّي

قلت: ومنذ مات أبي وأنت تظنّين أنه لا يسمعك من هذه المسافة
القصيرة..

: هل تعلم أنه كان يحاول أن يقنع والدك أن الثقب الموروث في
سبّابتكم اليسرى هو تأكيد لأنكم من سلالة "زينات"؟

: زينات؟

: نعم، ساحر القبيلة

: "زيناس" يا أمي.. وماذا في ذلك؟ دعيه يقص ما يشاء حتى لو ادعى أنه "كوركيس" نفسه.. إنه يحبّ القصّ والقصص كما تعلمين.. وإذا سمحتي لي بدعوتك إلى سماع القصة مجددًا لأنها باتت ضبابًا في ذاكرتك..

: ولم علي أن أستمع إلى قصّة تقول إن علامة تحليل السكر في أصابعكم هذه هي شيء من السحر؟

: وهل نرث علامة تحليل السكر في أصابعنا؟

تلاشى اهتمامها فورًا عندما لاحظت عنكبوتًا كبيرًا –بالنسبة لها- يتدلي من بين الكتب فصرخت وقفزت وركضت في آن واحد ثم اختفت بحجة أنها ستباشر أعمال المنزل بعد أن اطمأنت أن جدّي لا يزال يسمعا عن بعد.. ولكنه لم يغضب منها قطّ.. ليس فقط لأنها زوجة ابنه المتوفّي ولكن، لأنها تمثّل له ابنته البارة التي لم ينجها.. فلم يكن لجدّي أبناء سوى والدي رحمه الله..

وما أن انصرفت أمي حتى ترك جدّي تلك التحفة من يده وقال لي: اجلس يا "عميرة"

قلت في مزاح: "يا عميرة"؟ إذًا فالأمر خطير إذًا..

قال لي بصوت خفيض: ألم تلاحظ أي شيء غريب في هذه القصّة؟ فأردف لما رأى الحيرة في عيني: هذه قصّة أسلافك وجدورك يا "عميرة"..

ثم اعتدل في جلسته وقد اختفت رجفة الشيخوخة من صوته تمامًا: اسمعني جيدا، فقد يكون هذا آخر ما تسمعه مني في حياتك كلها..

قال: إن الثقب في سبابتك اليسرى هو سلاح تستعمله إما لك أو عليك وعلى العالم من حولك..

نظرت لأصبعي غير مكترث: وكيف ذلك؟

: كلنا ولد بسحر مختلف لا يظهر إلا بعد الثلاثين من العمر..
فاحذر

تصنعت الاهتمام بالأمر: لقد تخطيت الثلاثين منذ عامين ولم يظهر شيء..

قال في جدية وهو ينهض من مكانه: احذر.. فقط احذر..

ثم غادر الغرفة في هدوء ودلف إلى غرفته في هدوء وأسلم رأسه إلى وسادته في هدوء..

ثم أسلم روحه لخالقها في هدوء..

ورحل ذلك الرجل الطيب في هدوء، كما عاش بيننا في هدوء..

وفي هدوء. كان يحذرنى من مصيبة لم أدركها إلا بعد عام من وفاته..

"فوضى"

قررت بعد وداع أمي في مطار القاهرة أن أعود لبيت الأسرة الموجود في أطراف المدينة، لا لشيء إلا لقربه من المطار ولأنني أرجو ليلة من الهدوء والسكينة أنام فيها ملء جفوني..

حييت عم "زمباع" - خفير العزبة الصغيرة - وطلبت منه أن يحضر لي بعض الشطائر للعشاء وأن يكفّ ولو دقائق عن تعاطي السجائر المخدّرة التي أحالته حרבاً صغيرة تمسك ببندقية كبيرة..

كان البيت نظيفاً كقطعة الجاتوه ولكن سلّة المهملات تئنّ وتشكو أطنان أعقاب السجائر فيها مما يخبر بمجهود خارق قام به عم "زمباع" في الموازنة بين التنظيف والتدخين..

قصدت الطابق العلويّ، تحديداً غرفة المكتبة الفسيحة لأشاهد التلفاز وأنا أتناول الشطائر.. ولما تأخّر عم "زمباع" كعادته شرعت أنظر للمكتبة التي لم تمسّ كتبها من قبل.. كتب في التاريخ الأوروبيّ، كتب في الطبّ، في الجغرافيا، في الأحياء، الكيمياء..

ثم بدأت أتناول كتب الميثولوجيا واحداً تلو الآخر وأنشرها على المكتب الواسع أمامي ناظراً لها ترقد في عظمة وهيبة بجانب بعضها البعض.. ميثولوجيا عربية، سومرية، يونانية، صينية..

جلست وأنا أنظر لهم وأقلب صفحات هذا الكتاب وذاك حتى حضر عم "زمباع" أخيراً معتذراً عن تأخره لأنه كان يفعل أي شيء آخر غير أنه كان يدخّن ونسي أنني هنا من الأساس.. لدرجة أنه قد أقسم بأغلظ وأعظم الأيمان أنه لم يدخّن حتى بعدما أطفأ السجارة في يدي عن طريق الخطأ وهو يناولني الشطائر..

أمرته بالانصراف بنبرة يائسة ثم نظرت لأثر السجارة في يميني..
شكرًا لك يا عم "زُمبَاع" الآن هناك ثقب في سبابتي اليمنى أيضًا
بفضلك..

عدت إلى المكتب بثماني أصابع سليمة وسبّابتين مثقوبتين أقرأ في
دهشة بالغة تلك الكتب التي وصف فيها جدّي مخلوقات الميثولوجيا
وصفًا دقيقًا كأنه رآها..

جدّي..

هل كان جدّي يعاني صدمة لما فقد ولده فبدأ يتلو تلك القصة
ويتلوها عليّ مرارًا؟ أم..

من الصعب أن أصدّق بأن جدّي هو الساحر "زيناس" وانتقل في
الزمن إلى هنا و..

هذا مستحيل التصديق ولا يرقى للمنطق بأي شكل كان..

أشعر الآن بشفقة أكبر على ذلك العقل الذي أبهر من حوله بعلمه
وألف كتبًا تعجّ بها المكتبة من خلفي. أن ينهار ويقنع نفسه بأنه ساحر
ارتحل عبر الزمن لينقذ سلالته.. ثم نظرت لسبّابتي اليسرى مبتسمًا..
هذه علامة الساحر إذًا؟ ومن المفترض أن لي قوة لا أعرفها؟.. ثم نظرت
لسبابتي اليمنى قائلًا: لعل "زُمبَاع" أجدادي قد أحرقهم بالسجارة
أيضًا..

"زُمبَاع" أجدادي؟..

جملة مريبة لا أجد لها تفسيرًا إلا أنني أريد أنام بعد شطائر
الأسمنت تلك..

ارتديت منامتي الفضفاضة وأسلمت رأسي للوسادة أغوص في رمال
النوم المتحركة وترقى إلى مسامي سيمفونية الشيشة بين يدي عم
"زمباع" في حديقة البيت..

متى ينام هذا الرجل؟ متى يأكل؟ متى يشرب؟.. لقد عهدته يدخن
فقط منذ سنوات ويسعل..

أحياناً يخيل إلي أن هذا الرجل يخاطب أقرانه في الجوار بالدخان
كما يفعل أفراد الكشافة بالنار في رحلاتهم.. أو أنه يحاول أن يصنع
ثقباً خاصاً به في طبقة الأوزون..

فليفعل عم "زمباع" ما يشاء وليخفي العالم خلف دخانه، المهم هو
ألا يطفئ السجارة في مرة أخرى..

...

تذكرت فوراً أن النظارة في جيب المنامة فارتديتها لأنظر في ذهول
إلى هذا المشهد.. العجيب! الشاذ!.. لا أدري ولكن وجود امرأة ناشرة
جناحها وتمسك سيفاً لهو أمر جديد بالكلية..

لقد قرأت في الصحيفة مرة عن قطة بجناحين، أما امرأة
بجناحين؟..

هذا غريب!!

وليتها تقف وحيدة في المهو.. ولكنها توجه سيفها تجاه شاب أسود
ضخم الجثة يقف لها في تحدٍ واضح..

فما كان مني إلا أن صحت في عصبية: من أنتما؟ لصوص؟
مجنحين؟.. من أنتما؟

نظر لي الشاب في عصبية ثم نطق شاربه الكَثَّ بصوت رخيم
غاضب: بل أخبرني من أنت وإلا سأذيقك طعم سيفي هذا..

خفضت الفتاة سيفها وهي تنظر لنا في شك: إذا لم نكن نعرف
بعضنا فأرجو أن نخفض الأسلحة لنتكلم..

أشار لها بطرف سيفه: اصمتي أيتها المسخ..

صاحت فيه بعصبية: أنا لست مسخًا واهدأ قليلاً حتى نعرف أين
نحن..

قلت له في توتر: أجد كلامها منطقيًا يا.. يا رجل.. اخفض سلاحك
ولنتحدث

جال بعينيه شديداً البيضاء بيننا ثم خفض سلاحه قائلاً: أحذركما
من أي غدر..

نزلت الدرج وساعداني في وضع ما يصلح للجلوس عليه من بقايا
المقاعد المهشمة ثم نظرنا لبعضنا البعض..

قلت: أ.. أنا "عميرة" صاحب هذا البيت - ثم نظرت حولي- صاحب
ما تبقى من هذا البيت وأرجو أن أعرف من أنتما بعدما دخلتما بيتي
دون استئذان.. لا تبدوان لصين.. و.. لا أقصد إساءة ولكن هل هذان
جناحان حقيقيان يا آنسة؟

نظرت لي ملياً ثم قالت: أنا "أرتميس".. ولو لم تكن تعرفني فأنا أحد
آلهة ال..

ضرب الرجل كماً بكف قائلاً: أستغفر الله العظيم.. وتدعين أنك
إلهة أيضاً؟ -ثم نظرت لي- هذه فتاة مختلة

قالت له في هدوء غير مبالية بما يقول: وأنت؟

قال في عزة: "سلامة الهلالي" .. "أبوزيد" فارس العرب

شرعت أنظر لهما وأنا أكل شفتي من فرط توتري وارتبائي إذ أرجو أن تكون هذه "كاميرا خفية" أو برنامج ما للمقابل الرمضانية فهذا هو المنجى الوحيد لي والملجأ من أن أصدق بأن هذين الشخصان حقيقيان ويجلسان أمامي..

نظرت لـ"سلامة" قائلاً: أ.. هل هذا برنامج "الكاميرا الخفية"؟ لأن أعصابي خفيفة وأحذركم من مقاضاتكم فببتي مليء بالكاميرات -التي أرجو أنها تعمل أصلاً- وكل شيء مسجل بالصوت والصورة نظرا لي غير فاهمين ما أقول..

اللعنة، هذا لا يمكن أن يكون حقيقياً أبداً..

ثم سألت: أ.. ألم تلاحظ وجود خفير بالخارج؟ شخص قصير ونحيل يرتدي جلباباً بنيًا وعمامة؟ نعم.. ويدخن

قال "سلامة": لقد رأيت بندقية ملقاة بالخارج

قلت في ارتباك: ألم يكن في نهايتها رجل؟ أ.. أو جلباب إذا لم تلاحظ أن بداخلها إنساناً ما؟

قالت "أرتميس": رأيتته يركض هارباً أمام الباقيين

وقفت وقد انتصب شعر رأسي: الباقيين؟ أي باقين؟

قالت بنظرة حائرة: لقد كنا كثيرين هنا.. هرب الجميع ولم يبق سوانا..

شرعت أنظر حولي كمن يفقد عقله: سواكما؟ باقين؟ ماذا يحدث هنا بالضبط؟

ثم ركضت خارج باب البيت لأرى آخر شيء قد أفكر فيه في هذه المنطقة النائية الهادئة.. العزبة كلها -تقريباً- محطمة.. هذه ليست "الكاميرا الخفية" وقد حان الوقت لأصدق هذين الشخصين ولو بشكل مؤقت حتى أفهم ما يحدث..

التفت فوجدتهما خلفي ينظران لي بنظرة غير التي رأيتها داخل البيت.. هما حتماً الآن يشفقان على هذا الشخص الذي ينظر لعالمه المحطم من خلف نظارته.. وأرى هذا في نظرتهما إلى بعضهما..

كنا سندلف للدخل لولا أنني سمعت صوتاً يصدر من الفناء الخلفي..

"لا يوجد في الفناء الخلفي سوى أعشاش الدجاج" قلتها وأنا أركض إلى هناك راجياً من الله ألا يتحول الدجاج إلى طيور الرخّ والعنقاء..

وليتني وجدت طيور الرخّ والعنقاء فعلاً..

هذا ظهر رجل عملاق عاريجلس أمام الأعشاش يمزغ شيئاً ما.. بالضبط..

كان الـ"شيئاً ما" هو كل الدجاج الموجود هناك..

التفت لنا هذا العملاق ذو العين الواحدة ببطء شديد ثم نهض كالجبل من مكانه..

أربعة أمتار تفصلنا عن كتف كتلة العضلات المهيبة تلك.. وكأني أرى كابوساً مجسماً بعين واحدة وجسد عار..

حينها أدركت أي خطأ ارتكبته عندما قررت أن أطمئن على الدجاج.. ولماذا أطمئن عليه؟ لا أدري.. ولكنني عرفت أن الغباء الذي يسوق الجميع في أفلام الرعب إلى حتفهم هو حقيقي ولا شك فيه..

خفضت "أرتميس" سيفها وأمالت رأسها للعملاق: "بوليفيموس" أنت "بوليفيموس"؟

نظر لها "أبوزيد" في استنكار: أتعرفين هذا المخلوق أيضاً؟

هزّت رأسها أن "نعم" ثم قالت: هو بن "زيوس" كبير آلهة الـ..

ألقى "أبوزيد" السيف من يديه وضرب كفاً بكف: أستغفر الله العظيم.. أيضاً؟ ستقولين آلهة مجدداً؟

لم أكن في حال جيدة كي أفهم ما يحدث بالضبط فضلاً على أن أفسر قصة الآلهة تلك لـ"أبوزيد" المتذمّر خلفي..

ثم انتبه ثلاثتنا لما تنفّس "بوليفيموس" وأعلن أنه يريد أن يتحدث هنا.. فارتجفت أوصالي وكدت أرجوه ألا يتناولني مع الدجاج على الأقل..

فقال بصوت كأنه يخرج من كهف عميق: لقد كنت جائعاً، المعذرة..

...

تشرق الشمس خفيفة في تلك المنطقة..

وتهب الرياح رقيقة على جناحي "أرتميس" وشارب "أبوزيد"..

وحتى على "بوليفيموس" الذي اضطررت أن أحبك له ملاءات السرير في شكل جلباب يستره للآن على الأقل..

ثم بدأ الحديث حول أكواب الشاي..

قلت: هلا تخبراني من كان هنا بالضبط؟

"أبوزيد": كان هناك عشرة أشخاص من المغول يشبهون بعضهم
بشكل مخيف

"أرتميس": تقصد صينيين.. كانوا عشرة صينيين سويًا

نظر لها "أبوزيد" شزراً ثم أردف: وفارس ذو شعر أسود مجعد
ولحية وشارب كثين..

ثم فكّر ملياً وقال: اه تذكرت وبضع وأربعين مغولياً يختلفون عن
العشرة الأوائل في هيئتهم ولباسهم

"أرتميس": كانوا سبعة وأربعين شخصاً يابانيا

نظر لها "أبو زيد" في حنق ثم أردف: هففف، وعملاق عار الجذع
يحمل فأساً يجول به في هدوء وهو أول من اختفى

قلت في توتر: عملاق؟ واختفى؟

"أرتميس": نعم .. "خارون"

تناول "أبو زيد" كوب الشاي قائلاً: فلتستمع إذاً إلى تلك الفتاة
فيبدو أنها تعرف هذا السيرك أكثر مني..

كنت أسمع ما أسمعه وأنا غير مصدق لما يقصانه علي.. سبعة
وأربعين وشخص وعشرة صينيين وعملاق؟ اثنان وستون شخصاً قد
ظهروا فجأة في بيتي؟

هنا سمعت صوتاً يخرج من الظلام: ثلاثة وستون.. لو كنت تجمع
العدد..

...

التفت ببطء لمصدر الصوت..

فتاة جميلة الملامح هي، إذا ما تغاضينا عن شعرها الذي يصدر
فحيح الأفاعي وعينيها الحمراتين تماماً.. وكذلك إذا تغاضينا عن أنها
نصف ثعبان ونصف إنسان..

استلّ "أبو زيد" سيفه في غضب قائلاً: أعوذ بالله، ألن تنتهي هذه
الليلة التي تعج بالشياطين؟

قالت "أرتميس" في تعجب: "تينو"؟

نظر لها "أبو زيد" في غير فهم فقلت له: اضرب كفك بكفك الآخر
وقل أستغفر الله العظيم فهذه أخت "ميدوسا" التي تزوجت إله
البحار..

أعمد "أبو زيد" سيفه وعقد ذراعيه على عضلاته وقال: أرى أن
نبحث الأمر مهدوء فماذا بعد هذا!!!! تين!!!!

نظرت لي "تينو" وقالت: "تزوجت"! شكراً على تلطيف المعنى ..
أيدي أحدكم ما يجري هنا؟

قال "بوليفيموس" في حيرة: كلنا يسأل ذات السؤال.. إنني لا أذكر
حتى أين كنت قبل أن آتي إلى هنا..

"أبو زيد": ولا أنا

"أرتميس": ولا أنا أذكر أيضاً

قلت في كبرياء: أنا أذكر أين كنت..

"أبو زيد" مقاطعاً: ألسنت صاحب البيت؟

قلت محاولاً تجاهل الإحراج: إحم.. حسناً، هل ظهرتم جميعاً دفعة
واحدة؟

"ثينو": لم أر أحداً يظهر بعدي

"أرتميس": لا أظن أحدنا سبق الآخر

"أبو زيد": بل هناك من سبق الجميع.. لقد رأيتُ الجميع يظهر..
ولتعلم أننا لم نظهر جميعاً في اليوم..

"أرتميس": إذاً؟

أشار إلى غرفة المكتبة المواجهة للدرج في الطابق الأول: خرج
الجميع من هناك كما خرجت أنا..

سادت لحظة من الصمت بيننا ثم قالت "ثينو": هل نحن آخر من
بقي أم أن هناك آخرين يختبئون هنا؟

قلت في اندفاع: فليبحث الجميع عن أي شخص آخر فقد نجد
التفسير هنا أو هناك..

ثم قلت لـ "أبو زيد" تعال معي إلى المكتبة فقد نجد شيئاً مفيداً..

ألقيت بجسدي المنهك على الأريكة في حين أسند "أبو زيد" خده إلى
قبضته على كرسيّ المكتب وهو ينظر في الكتب المنشورة أمامه ثم قال:
هل كنت تقرأ كل هذه الكتب دفعة واحدة؟

قلت وأنا أنظر للسقف: لا ولكنني كنت أنتقي بعض الصفحات
الهامة..

التقط أحد الكتب وقال: هذا اسمي؟ هذا أنا في كتاب اسمه..
"ثقف طفلك؟" حقاً؟ ومن المجرم الذي رسمني بتلك البشاعة؟

قلت: لا لا هذا كتاب صغير كان موضوع بالخطأ.. إنك المذكور في
كتاب تحته اسمه "ميثولوجيا عربية"..

التفت إلى المكتبة ثم إلى الكتب قائلاً: هل تظنّه موضوعاً بالخطأ؟

ضربت كفا بكف وقلت: أستغفر الله العظيم، كتاب أطفال
موضوع...

قاطعني قائلاً: ليس هذا ما أقصده يا خفيف الظل.. من قد يضع
كتابًا تافهًا كهذا بين هذه الأساطير؟

استرعت انتباهي ملحوظته فهضت من مكاني ألتقط هذا الكتاب:
عندك حق كيف يوضع هذا الـ.

ثم ناولني بطاقة بيضاء وهو يقول: لقد سقطت هذه منه
قلبتها في يدي فهي بطاقة بيضاء إلا من اسم مكتوب بلغة ما وأدناه
رقم هاتف ولا شيء آخر..

قلت كأنما أحدث نفسي: ما هذا؟
هض "أبو زيد" من مكانه متثاقلاً: لا أدري ولكنني أشعر أنه يتعلّق
بما يحدث..

دخلت "آرتميس" وهي تقول: لا شيء، لم أجد أحدًا آخر
ثم نظر "بوليفيموس" من مكانه - فهو يرانا بوضوح من الجو: لم
أجد أحدًا بالخارج سوى هذا - رفع يده التي تمسك بـ..

قلت في دهشة: عم "زنباع"؟ أين كنت؟ أنزله إنه معي
قال عم "زنباع" وهو يحاول أن يتمالك رباطة جأشه: هـ. هل
البيت مسكون طوال تلك المدّة ولم تخبروني؟

قلت: تمالك نفسك قليلاً لماذا تقول هذا؟
نظر حوله ثم نظر لي وكأنني مجنون: لـ. لقد شاهدت فيلمًا منذ
أيام عن بيت تخرج منه الوحوش من كتاب وتعيث في الأرض فساداً..
.. أرجوك أخبرني أن هذا هو تصوير الجزء الثاني

قال "أبو زيد": نعم هو ما تقول. ونعتذر أننا لم نخبرك مسبقاً بترتيبنا السريّة مع "عميرة".. اغفر لنا هذا – ثم التفت لي- اسمح لهذا الرجل النحيل أن يحصل على بعض الراحة على الأقل لبضعة أيام..

همست لـ "أبو زيد": هل تعرف معنى الفيلم وتصوير الجزء الثاني؟

"أبو زيد" هامساً: لم أفهم حرفاً

قلت: خذ إجازة يا عم "زمباغ" مدفوعة الأجر ومفتوحة حتى ينتهي السادة من عملهم هنا..

قال وهو يهيم بالانصراف: شـ. شكراً لك

ثم تصنّع التمتمة وهو قاصد أن يسمع الجميع ما يقول: اللعنة على السينما وهذا العمل الذي سيودي بحياتي يوماً ما..

ثم أردف يسبّ ويلعن حتى اختفى بعيداً وهو يدخّن كمدخنة المناطق الصناعية..

قلت: إذا، لدينا ثلاثة وستون شخصاً ظهروا فجأة وبطاقة بيضاء عليها رقم هـ..

قاطعتنا "ثينو" قائلة: أربعة وستون..

...

خرجت من خلف "ثينو" طفلة مذعورة بضميرتين صغيرتين وستان بريء، تحمل أرنباً محشواً بين ذراعها وتبكي بين دهشة الجميع..

موقف عجيب هو عندما تتوقع يثير هلعك ظهور طفلة صغيرة من العدم أكثر من الوحوش الضارية..

اقتربت مني وهي تبكي فدنوت منها: مـ. من أنت؟.. من أين أتيت؟
نظرت لي بعينين تملؤهما البراءة: لا أدري.. أنا تائهة
عقد "أبو زيد" ذراعيه خلف ظهره قائلاً: هذا ما ينقصنا.. طفلة
تائهة..

"بوليفيموس": ومرعوبة..

دنت "آرتميس" من الطفلة قائلة: نحن نمثل فيلمًا فلا تجزعي.. هل
شاهدتي فيلم الوحوش التي تخرج من الكتاب؟
هزّت الطفلة رأسها في توتر بالموافقة فأردفت: هذا هو الجزء الثاني
منه..

قال "أبو زيد" مستهزئاً: فلنضع لافتة بهذه الجملة خارج البيت..
يبدو أنها تطمئن قومك كثيراً..

قلت للطفلة: كيف جئت إلى هنا؟

قالت وقد اطمأنت كثيراً: لا أدري

جلست على كرسيّ المكتب أنظر لـ "تينو" الجالسة على الأريكة،
"آرتميس" التي تشبّك بين أصابعها على الكرسي المقابل لي، الطفلة
التي تقف بجوار "أبو زيد" تنظر له في تعجب أكثر من "بوليفيموس"
نفسه.. بينما يقف "بوليفيموس" مستنداً إلى درابزين الدرج بالخارج
وهو ينظر لنا بعينه الواحدة..

قالت الطفلة: من أنت؟

قال "أبو زيد" في فتور: "أبو زيد"

قالت: لماذا؟

"أبو زيد": لماذا؟

الطفلة: لماذا أبوزيت؟

نظرتني صامتًا ففتحنت: "أبوزيد" يا.. ما اسمك أيتها الطفلة؟
مطّت شفرتها في غير علم لتزيد الطين بلّة فوق رأسي.. "كم سنّك؟"
سألتها "نينو"، فأشارت بخمسة أصابع بيدها اليسرى..
ثم دنت الطفلة من المكتب وهي تنظرني في براءة وسألتنني: وأنت.. ما
اسمك؟

قلت في ودّ: "عميرة" .. ناديني "عميرة" ..

قالت بهمس: "كايميرا"؟

قال "أبوزيد": لا تملك هذه الفتاة حسًا للدعابة..

قلت له: لا بأس هي طف..

قاطعتني قائلة: "كايميرا" .. أنت "كايميرا" ..

ثم اختفت وكأنك نفثت دخانًا ملونًا في الهواء..

تجمّدت الدماء في عروقي وشرع الجميع ينظرني في غير فهم..

زاد التوتر في لحظة اختفاء تلك الطفلة المريبة بعد أن أُلقت

كلماتها في وجهي تاركة إياي في حيرة من أمري..

قطع الصمت صوت الهاتف فتناولته وأنا أشير بيدي إلى الجميع

بالهدوء والصمت..

: ألو، "عميرة" كيف حالك؟ أحدثك من بيت خالك الآن.. لقد

وصلت بالسلامة

: ح.. حمدًا لله على سلامتك يا أمي كيف حالك؟ هل أنت بخير؟

: نعم، لا تقلق.. أخبرني عن حالك..

: أنا بخير وأحظى بضيوف هنا.. بعض الأصدقاء..

ثم أردفت قائلاً: أمي، هل تعرفين أي شيء عن صندوق أو كتاب أو أشياء من هذا القبيل كان يخبئها جدّي هنا في العزبة أو أبي قبل وفاته؟..

فكّرت قليلاً ثم قالت: لا أعتقد - ثم نادت بصوتها على خالي - "صديق"، هل تذكر أي شيء كان يخبئه الحاج "زين" في بيت العزبة؟ لا؟ "زينب" هل تذكر..

: حسناً يا أمي حسناً لا بأس، كما تعلمين هو فراغ لا أكثر..

: "عميرة"، هل أنت معي

: نعم يا أمي

: لي طلب يا بئي وأرجو ألا أثقل عليك فيه

: طبعاً يا أمي

: أطعم الدجاج في الفناء الخلفي ودع عم "زمباع" ينظّف المكان..

نظرت لـ "بوليفيموس" قائلاً: لقد أطعمتهم بالفعل لا تقلقي..

...

لاشيء.. أمي لا تعرف شيئاً قد يفيدنا هنا.. ماذا أفعل مع تلك الكوارث التي أمامي؟ إذا ما استثنيت الطفلة التي اختفت..

أفقت على صوت "آرتميس": ما كان هذا؟

قلت وأنا أُلقي الهاتف: هاتف، أمي.. كنت أكلّم أمي عن طريق الهاتف.. تعرفين! جهاز تضغطين به أرقامًا تصلك بشخص آخر في مكان آخر..

"ثينو": وزمان آخر؟

هزرت رأسي: لا، فقط مكان آخر.. الانتقال بالزمان ليس منطقيًا -
ثم أطرقت برأسي - على الأقل ليس لجدي -رحمه الله-..

"أبو زيد": هل يصلح هذا الشيء لضغط الأرقام الموجودة على
البطاقة البيضاء؟

هزرت رأسي وبدأت الاتصال بالفعل ولكنني لم أحصل على رد..

الانتظار إذا..

الانتظار..

...

مساء ذلك اليوم افتقدت "بوليفيموس" فقالوا لي أنه يتمشى
بالخارج لما سألت عنه.. فالبيت مهما تكن مساحته، فهو ضيق ولا يسع
شخصًا طوله يرقى إلى الخمسة أمتار..

جلست إلى "آرتميس" سائلًا: هل وجدت أي تفسير لما نحن فيه؟

"آرتميس": أشم رائحة السحر في كل ما يحدث.. هل أنت ساحر؟

تهتدت قائلاً: أظنني أصدق الآن أن جدي كان أحدهم..

"آرتميس": جدك؟

: نعم، كان يخبرني دومًا أنه ساحر تنقل عبر الأزمان ليحمي طفله
وأن عائلتنا مشهورة بسبابتها اليسرى المثقوبة مثل هذه -ورفعت
سبابتي لترى الثقب مكان بصمة الإصبع-

أمسكت "آرتميس" بيمني قائلة: وهذا؟

: لا، هذا ثقب عم "زمباع"، هو دومًا ما يحب أن يترك علامة في
أفراد أسرتنا ليعرفنا بها..

ضغطت "أرتيميس" على الثقب قائلة: هو مماثل للأيسر في رأيي..
دقيق هو ذلك الرجل في حرقك بالسيجارة..

: عم "زمباع" فنان لم يجد فرصته.. وأرجو ألا يجدها حفاظًا على
العالم..

أطل "أبوزيد" من المكتبة قائلاً: هذا الشيء يصدر ضوءاً ويرقص
فوق المكتب.. أويبيكي تقريباً! هل هذا طبيعي؟

هرعت إلى الهاتف وأجبت: ألو!

: ألو! معذرة.. لقد اتصل بي هذا الرقم منذ ساعات وأعتذر عن..

قاطعتها في لهفة: لقد وجدت بطاقة بهذا الرقم فوق مكّتي وأرجو
أن أقابلك.. أ.. أنا حفيد "زين" الحاج "زين"

جاء الصوت في الناحية الأخرى هادئاً: "زين"؟ تقصد "زيناس"؟..
احضر إلى مكّتي فوراً..

...

هبطت الدرج ركضاً وأنا أقول لهم: اسمعوني جيداً، سأذهب
لأقابل صاحبة البطاقة البيضاء.. أرجو منكم إغلاق البيت حتى أعود
وألا تعبثوا بشيء إطلاقاً.. و.. أين "ثينو"؟

لاح لي "بوليفيموس" من بعيد يمسك بشجرة فوق كتفه ويغني
فناديته ليدخل وأن يكفّ عن اقتلاع ما بقي من الشجر.. وظللنا
نتساءل حول "ثينو" حتى بدأت أتوتر: أهذا وقت تختفي فيه "ثينو"؟

ثم فوجئنا بها تظهر من بين الظلام الدامس بالخارج معتذرة ولكنها
تحمل خبراً ما..

"أبو زيد": لاتخبرينا أننا خمسة وستون، فكلما اختفيتِ تعودين
لتزيدي الأرقام..

"ثينو" بذات الهدوء الذي لم يبارحها منذ ظهرت: إلى أين أنت
ذاهب يا "عميرة"؟

قلت: صاحبة البطاقة البيضاء تنتظرني، سأذهب إليها الآن
وأرجوكم أن تبقوا هادئين قدر الإمكان ولا تختفي أرجوك.. "آرتميس"
لا تذكرى الآلهة أمام "أبو زيد".." "أبو زيد"! لا تـ..

"أبو زيد" مقاطعاً في سخرية: سأجلس في المكتبة أقرأ "ثقّف
طفلك"

"بوليفيموس": هل تأذنون لي بالحديث؟ لماذا لا يذهب معك "أبو
زيد"؟ لا أقصد إهانة ولكنني أظنّه أقرب الشبه إلى قومك..

نظر "أبو زيد" في إعجاب لـ "بوليفيموس" قائلاً: كلام سليم.. ولكن
كيف سأخرج بدرعي هذا؟

تمهدت ثم استدرت لأحضر له بعضاً من ثيابي.. ولأول مرة أجد
فائدة لزيادة وزني في الفترة الأخيرة إذ أن الملابس التي اخترتها له
تناسبه ببعض التحايل على الطول بثي البنطلون والأكمام..

وقبل خروجنا سوياً استوقفتني "ثينو" قائلة: لقد وجدت شيئاً
مريباً في حديقتك الواسعة تلك..

نظرت لـ "أبو زيد" متعجباً: و.. وما هو؟

"ثينو": كان هناك قبر تحت الشجرة التي اقتلعها "بوليفيموس"..

"هي ووت"

لم أكن أتخيّل أن أر هذا الفارس العظيم يرتدي قميصًا أبيض مرسوم عليه شخصية الأرنب الكرتوني الشهير.. أرجو ألا ينتقدني التاريخ وألا يحكم علي المتعصبون للميثولوجيا العربية، فهذا ما وجدته في خزانتي ملائمًا له..

وصلنا بالسيارة بعدما قطعنا مئات الشوارع وبعدها أجبت على ملايين الأسئلة لهذا الرجل المتحمّس الجالس جوارى.. وصعدنا في "العبة المعدنية" -المصعد- كما وصفه إلى الطابق حيث صاحبة البطاقة..

وجدنا الباب مفتوحًا ثم دلفنا سويًا فوجدنا فتاة في العشرينيات من عمرها.. شديدة السمرة وعينيها زرقاوتين كماء المحيط.. يبدو عليها الودّ والجدية معًا ففتحنا قائلًا: "عميرة" حفيد الحاج "زين"..

كشفت فمها عن أسنان شديدة البياض ورحبت بنا أيما ترحاب ودعتنا للجلوس..

..

وقصصت عليها كل شيء..

بداية من قصة جدّي وحتى دخولنا من بابها..

..

لم تكفّ عن التدوين والكتابة كلّما لاحظت شيئًا هامًا -في رأيها- ثم قالت: إذا أنت "أبو زيد الهلالي"؟

هزّ "أبو زيد" رأسه.. فتنبّدت وهي تنظر للورقة بين يديها فسألتهما:
عذراً. ولكننا لا نعرف اسمك حتى الآن ولا هذه الرموز المطبوعة على
البطاقة..

ابتسمت وقالت : هذا هو اسمي باللغة الأمهرية.. "هي ووت".. نادني
"هي ووت"..

"أبو زيد": وهل تصدّقين كل هذا الخرف الذي قاله لك "عميرة"؟
نظرت له في استنكار ثم لها: يقصد لماذا قد تصدقين ما يحدث
ولماذا وجدت بطاقتك في مكتبة جدّي؟

"هي ووت": جاءني جدّك منذ أكثر من عام وقصّ عليّ ذات القصّة
غير أنّه قد أخبرني شيئاً لا أظنّك تعرفه..

قلت: وأيّ شيء هو هذا؟

نهضت من مكانها وأحضرت ملفاً مكتوباً باللغة الأمهرية -كما
أخبرتنا فيما بعد- وقالت: هذا هو ما أخبرني به جدّك كاملاً بعدما
استأذنته أن أدوّن كل ما يقول..

وسأحكي لك باختصار ما يحتويه فأعزني سمعك جيّداً

...

"هي ووت": قال جدّك أنه بعدما نجا بابنه وحضر إلى القاهرة سمّى
ابنه "خالد" تيمناً بإنقاذ السلالة وأتمّها "خالدة" لن تنته.. وكما تعرف
أنت عن جدّك، أنه انخرط سريعاً في القاهرة كأبيّ يونانيّ كان يحيا في
تلك الفترة بالتجارة حتى استقرت حياته وأنشأ ابنه نشأة قومية وعلمه
من السحر الكثير لما بلغ الثلاثين من عمره.. وزوّجه فتاة طيبة كانت
تسكن بالجوار ولكنّها توفيت وهي تلد طفلها..

قاطعها سائلاً: تزوج أبي قبل أمي؟ لي أخ؟

أردفت "هي ووت": نعم. وما أن بلغ ذلك الولد الثلاثين من عمره حتى توفي في حادث سيارة..

انتفضت واقفاً: م.. م.. ماذا تقصدين؟

أجلسني "أبو زيد": أكملني أرجوك

"هي ووت": تزوج والدك من والدتك وأظهر السونار المبدئي أن هناك احتمالاً أن تلد توأمًا بعد شهر من الزواج.. ثم فوجئ الطبيب بأن الموجود هو طفل واحد فقط وأنه لا أثر للطفل الثاني حتى تمت الولادة بشكل طبيعي جداً حتى أن جدك اندهش من وجود ذات العلامة في سبابتك اليسرى عوضاً عن وجودها في اليمنى.. فقد كان يتوقع أن تلد زوجة ابنه الطفل الملعون بعد مقتل الابن الأول..

قلت وأنا أحاول أن أستجمع شتات أفكارى: هل هناك قانون يخبر بلزوم أن تلد المرأة ذاتها الطفلين؟

هزت رأسها بالنفي وهي تنظر للأوراق بين يديها قائلة: لا أظن ذلك فالأمر يتعلق بالأب وليس بالأم.. ولكنّه من العجيب أن..

ثم نظرت لي ملياً واستطردت: أرني يمينك..

فمدتها لها، فقالت: إن سبابتك متماثلتان.. هل أنت أكيد أن السيجارة هي من صنعت هذا؟

هزرت رأسي أن "نعم" ثم قلت: عم "زمباع"

قاطعنا "أبو زيد" قائلاً: أليست تلك الـ..

نظرنا سوياً فصحت: هي الطفلة.. نعم، تعالي هنا أين ذهبت وأين كنت ومن أنت و..

نهضت "هي ووت" في حنو بالغ تجاه الطفلة وسألتها: من أنت؟
الطفلة: تركاني في السيارة وصعدا فخفت أن أجلس وحيدة..
أجلستها على رجليها وقالت: ما اسمك؟ هل تحبين الحلوى؟
الطفلة: هو "كايميرا" .. "كايميرا" وليس "عميرة"..
نظرت "هي ووت" لي ثم للفتاة: لماذا تقولين هذا؟
الطفلة: لقد أكل أخاه..

ثم أجهشت الطفلة بالبكاء فجأة حتى قال "أبو زيد": حسناً،
سنخرج عمو الشرير الآن ونتحدث.. ما رأيك؟
فجأة سكتت..
وفجأة تلاشت كالمرّة السابقة..

...

على الرغم ممّا حدث لي أصريت على أن أغطّ في نوم عميق على
أريكة المكتبة في انتظار الصباح ليخبرني أنني كنت أحلم وأن الدجاج
حيٌّ يرزق خلف البيت..

...

عرفت بأنني لم أكن أحلم فور أن فتحت عيني ووجدت "أبو زيد"
يحدّق في المكتبة باهتمام بالغ ويلتقط كتباً من هنا ومن هناك..

قلت بصوت ناعس: أي شيء بعد؟

"أبو زيد": هل استيقظت؟.. لا، ولكن هناك بعض الأشياء التي
استوقفتني..

قلت وأنا أضع ذراعي فوق عيني مملأً: قل ما عندك

"أبو زيد": كيف يتحدّث الجميع العربيّة هنا؟

رفعت ذراعي ونظرت له في اهتمام: صحيح! كيف يتحدثون
العربيّة؟

"أبو زيد": أظنّ أن لهذا علاقة بما كنت تقرؤه تلك الليلة.. تعال،
انظر معي هنا؟

نهضت ووضعت نظارتي على الفور فقال "أبو زيد": هذه ميثولوجيا
صينيّة بها عشرة صينيين.. هذه ميثولوجيا يابانيّة بها سبعة وأربعون
ساموراي.. هذه يونانيّة.. انظر! "أرتيميس".. "خارون".. "بوليفيموس"..
"تينو".. "جلجامش".. وأنا.. أحمد الله أنني لم أخرج من كتاب الطفل
بالفعل.. وما استوقفتني هنا أنه ليس هناك أطفالاً.. فمن هذه الطفلة
إذاً؟..

وقفنا نفكّر ملياً دون أن نحرك شيئاً ما حتى دخلت "تينو" بهدوء
مريب قائلة بذات النبرة: لقد وضع النهار وتبيّنت ملامح القبر.. هلاً
نذهب؟

ذهبنا جميعاً للقبر ووقفنا على طرفه غير عالمين بمن هو موجود
تحتة..

"أبو زيد": هل نبش القبور حلّ مقترح هنا؟ فأنا لا أؤيده على كل..
فجأة غاصت قبضة "بوليفيموس" في التربة لتخرج لنا جسداً
مسجّى ويضعه أمامنا..

نظر الجميع له في صدمة ألجمتنا..

هذا شخصٌ معروف للجميع هنا..

إنه بكل بساطة..

أنا..

...

سكت الجميع وظل ينظر بعضنا إلى بعض في ذهول غير فاهمين ما
يعنيه هذا!..

"أبوزيد": سقف الكوارث مرتفع في هذا البيت..

مالت "نينو" على ذلك الجسد ونظّفت سبّابته اليمنى فلم تجد أيّة
علامة.. ثم نظرت لي وقالت: كلام الفتاة صحيح إذا..

"أرتميس": ما علاقتك بالـ"كايميرا"؟ وكيف تحملان نفس العلامة في
السبّابة اليسرى؟

رن هاتفني فجأة فقال "أبوزيد": يبدو ممتعًا هذا الشيء في جيبك..

: ألو.. عميرة.. كيف حالك؟

: بخير يا أمي.. كيف هو الحال؟

: لا شيء ولكن لن تصدّق من قابلناه هنا..

: من يا أمي؟ عم "زمباع"؟

: لماذا عم "زمباع"؟ لا بالطبع وماذا سيفعل عم "زمباع" في
"إسبانيا"؟

: ظننته قد هرب من البلاد بعد أن أحرق سبّابتي بالسيجارة..

: - شتائم كثيرة تفيد بأنه هالك لأمحالة-. لا تخبرني أنها اليسرى،
لقد ترك جدّك عقدة لديك في..

: لا يا أمي، إنها اليمنى هذه المرّة وتركت ثقبًا مماثلًا للأخرى حتى
أعيش بسبابتين متماثلتين

: يا إلهي، أصابعك محسودة يا "عميرة"

: أصابعي محسودة؟ حقاً؟ ومن هذا الذي يحقد على أصابعي؟

: لقد أفسد هذا الأحمق عملية التجميل التي أجراها الدكتور
"عادل" منذ أن كنت طفلاً

قلت في اهتمام بالغ: انتظري، أخبريني عن ذلك..

: فُتحت سبّابتك اليمى بشكل مشوّه وأنت طفل فأجرى لك
الدكتور "عادل" عملية التجميل فأخفاها لك تماماً..

...

حقاً ما قال "أبو زيد"

(سقف الكوارث مرتفع)

...

جلسنا متحلّقين حول الجثة المسجاة أمامنا ننظر في صمت لما أخبرتهم بما قالته أمي..

"ثينو": هذا أخوك إذا.. ومن المفترض أنك تولد ملعوناً بسبابة يمتى مثقوبة.. ولكنك ولدت بسبابتين مثقوبتين.. فيما أنك نصف ملعون وإما أن أحد الثقبين قد أفسد تأثير الآخر..

"أرتميس": أحب هذا التفسير

"أبو زيد": وأنا أيضاً

"بوليفيموس": أليست تلك الطفلة التي..

نظرت في ملل للطفلة وقلت لها: أرجوك لا تذهبي بعيداً وابقى هنا
إن..

قاطعتني الطفلة وهي تذرف دموعاً: إنهما قادمان..

"ثينو": من هما؟

أشارت خلفها وهي تبكي ثم أسقطت الأرنب المحشو من يدها
وركضت بعيداً..

هممنا باللحاق بها فقالت "ثينو" بنبرتها الهادئة: اتركوها.. ستختفي
وتعود.. لقد اختفت دميتهما من على الأرض..

"أبو زيد": حسناً، أرى أن نعيد الد.. أ.. "عميرة" هذا إلى قبره وندخل
مع "عميرة" الحي إلى البيت..

قلت: انتظر لحظة حتى نعرف من القادمين!

"أبو زيد": لا أعرف بالضبط ولكنني أشم رائحة العنف من على بعد أميال..

"أرتيميس": سأنتظر هنا لأنني لا أطمئن للدخول

"ثينو": سأدخل معك يا "عميرة"

"بوليفيموس": سأنتظر مع "أرتيميس" فأنا غير مطمئن بالمرّة

"أبو زيد": وأنا سأدخل لأبدّل ثيابي.. فلو كان القادمان يطلبان العنف.. أفضل ألا أقاتل وهذا الأرنب على صدري..

...

كنّا بالداخل عندما سمعنا صراخا وعنفا على حين غفلة.. فخرجنا ننظر، فإذا بـ"أرتيميس" قد جرح وجهها و"بوليفيموس" قد جرح عاتقه وساعده..

"ماذا حدث؟" قلتها في ارتباك "لقد غبنا لدقائق فقط"

"بوليفيموس": إنه "خارون" ومعه فارس آخر

"أبو زيد": "جلجامش".."خارون" و"جلجامش".. لماذا يهاجموننا؟

نظرت حولي: وأين ذهبنا؟

"أرتيميس": اختفيا فجأة من حولنا..

..

لما جنّ الليل جلست أفكّر في غرفة المكتبة وحولي "هي ووت". "أبو زيد"، "أرتيميس" و "ثينو".. ولا حاجة لأخبر أن "بوليفيموس" يحضر جميع الاجتماعات من اليوم..

"أبو زيد": نحن في مركب واحدة رغماً عننا جميعاً.. فلنحاول أن نجد حلاً لهذا الموقف العجيب قبل أن يتطور لأكثر من هذا..

وضعت "هي ووت" ساقاً فوق ساق وعقدت ذراعها وهي تسأل: دعونا نبدأ من الأساس.. وأحب أن أبدأ بسؤال "أبو زيد".. كيف تتحدثون جميعاً العربية؟

نظر الجميع إلى بعضهم البعض يبحثون عن إجابة مناسبة لهذا السؤال.. فقال "أبو زيد": أظن أن للأمر علاقة بكون جميع ما ورد عننا هنا مكتوب بالعربية؟

لمعت عينا "هي ووت" وهي تنظر إلى "أبو زيد": استنتاج رائع.. هذا هو أول خيط معدن..

قاطعها "أبو زيد" قائلاً: لا أظنها معلومة ذات قيمة هنا فنحن بصدد هجوم آخر في أي وقت

"أرتميس": أرجوك لا تفسد استنتاجك الرائع بتعليق آخر من هذا النوع

"هي ووت": أظن أن لكل معلومة صغيرة كانت أو كبيرة، أهمية قصوى في حل جزء من الموقف الغير مفهوم هنا..

نظر "أبو زيد" إلى "أرتميس": هكذا يكون الرد - ثم تمتم - تفسد استنتاجك!

"ثينو": هل تقرأ دومًا بتلك الطريقة؟

نظر الجميع إليّ ونظرت لها متسائلاً: أية طريقة؟

"ثينو": تلك.. أن تضع أصبعك على السطور..

خفق قلبي لما أدركت ذلك.. فعلاً، لم ألاحظ ذلك من قبل.. أنا أقرأ
وأنا أشير بأصبعي إلى السطور..
فتارة أشير بسبابتي اليمنى..
وتارة أشير بسبابتي اليسرى..

"هي ووت": فلنضع المعطيات أمامنا إذًا.. أصبع ملعون وأصبع
ساحر.. شخصيات مكتوبة بالعربية كلها تتحدث العربية.. كل من
قرأت عنه ظهر فجأة، فقط، عندما قرأت عنهم وحركت أصابعك
عليهم.. أخبر جدك عن قدرة مهمة لكل ساحر من هذه السلالة..
"بوليفيموس": لقد كانا "خارون" و"جلجامش" بتحدثان العربية
أيضاً..

"هي ووت": هذا دليل داعم للنظرية المبدئية
"أرتيميس": وهي؟

"هي ووت": قدرة "عميرة" على تحرير الكلمات الحبيسة في الأوراق
لتظهر أمامه

قلت في فزع: أنا ساحر؟

"أبو زيد": هل هذا ما أفزعك؟

قلت: طبعاً.. إن هذا غير معقول لقد تخطيت الثلاثين وليس هذا
أول ما أقرؤه بتلك الطريقة..

"هي ووت": تفيد المعلومات بأن سنّ الثلاثين هي البداية فتوقعها
في أي وقت آخر..

حككت رأسي في استنكار: لا أعرف.. حقاً، لا أعرف.. هل هذه
نظرية مقبولة؟

"ثينو": على الأقل هناك نظرية الآن..

"هي ووت": بالضبط - ثم أشارت لي بأن أتجنّب عن كرسي المكتب-
دعني أرى الشخصيات مجدداً..

ظَلّت تنظر هنا وهناك وهي تقول: ظهر.. ظهرت.. ظهور.. ظهور..
ظهرت..

ثم قالت: وماذا عن هذه الكتب؟

قلت: كادت أن تسقط فأمسكتها ثم أسندتها على حاليها..

"بوليفيموس": لم نعرف بعد، من هذه الطفلة؟

قلت: عندك حقّ.. أتمنّى ألا تظهر مرة أخرى فيكفيينا رسائل
مشقّرة..

"بوليفيموس": لقد سألت لأنها تقف خلفكم جميعاً هنا..

"أبوزيد" دون أن يلتفت: هل سأبدو عنيفاً إن ركلتها بعيداً؟

دخلت الطفلة إلى المكتبة وهي تقول: لماذا تركوني وحدي دائماً؟

"هي ووت" في هدوء: ظننتك تختفين بإرادتك.. ابقِ معي إذا أردت..

نظرت إليّ بعينها الواسعتين: هل تسمح لي أن أبقى معها؟

نظرتي "أبوزيد": هل هذه ابنتك ونحن لا ندري؟

نظرت لـ "هي ووت" بعين قلقة: هل تسمحين بذهابها معك

و"آرتميس"؟

"آرتميس": لأمشكلة عندي..

...

كنت أجلس في الهيو وحيداً تاركاً "أبو زيد" يغطّ في نوم عميق بالأعلى.. و"بوليفيموس" في الحديقة ثم صنعت لنفسني كوباً من القهوة أرشفه على مهل جنباً إلى جنب مع سيمفونية "بيتهوفن" الخامسة المحببة إلى قلبي..

سمعت صوت "سثينو" من خلفي تقول: هل تأذن بالانضمام؟

قلت مرحباً: تفضلي طبعاً – ثم نظرت لها عن جوارى وأردفت- لم أكن أحلم بأن أحتسي القهوة يوماً بجانب "ثينو" بنفسها..

نظرت بطرف عينيها لي ثم قالت: ولم "ثينو" بنفسها؟ إن من حظيت بالصيت الذائع "ميدوسا".. حقّ لك أن تفخر باسمها لا باسمي..

وضعت القهوة جانباً وقلت: كلنا يقرأ الأساطير ولكنني أحب أن أسمع منك

مالت برأسها وكأنها تتذكّر شيئاً ثم قالت: (كنا ثلاث أخوات نمرح ونحب الحياة كما هي.. أنا الأخت الكبرى بالطبع و"ميدوسا" هي أصغرنا والمدلّلة فينا.. ولما كنا نعيش في كهف تحت جبل الأوليمب وتحيا الآلهة فوق رؤوسنا، لم يشعر أحدهم أبداً بكل الأخطار التي نواجهها في مكان كهذا فنصبت نفسي المدافعة عنهما..

لبست ثوب القتال رغماً عنيّ ومن بعدي "يوريال".. ظللنا على هذا الحال لسنوات حتى نصجبت "ميدوسا".. ولكنها كانت خيبة أمل لنا أن نراها مندفعة ولا تأبه لشيء..

تطلّعت "ميدوسا" لما هو أكبر من ثلاثتنا.. تطلّعت لجبل الأوليمب نفسه..

ظلّت على هذا الحال حتى وجدها "بوسايدن" صيدا ثمينا له.. فبنات "فوركيس" و"كيتو" هن الأجل وقتها..

-تهتدت "ثينو" ثم أردفت- اضطررت أن أقف أمام "بوسايدن" فإما أن يعترف بها زوجة وتصير إلهة فوق جبل الأوليمب أو سأسن أمامه حرباً بكل ما أوتيت..

في البداية، عارضت "يوريال" الفكرة برمّتها ولكنها لم تجد بداً من مواجهته معاً..

كانت حرباً قويةً بكل معان الكلمة..

ولكنّه كان قوياً وغاضباً..

فعاقب ثلاثتنا في النهاية بأن صرنا كما ترى – ثم ابتسمت في سخرية – وحتى أنّ "هيرمز" بن "زيوس" قد ساعد "بيرسيوس" البشريّ على قتل "ميدوسا".. ثم نصبوه بطلاً بقتله أصغرنا..

-ثم نظرت لي بعين دامعة- ومنذ هذا الوقت وأنا لا أحارب ولا أرفع سلاحاً في وجه أحد كان..

فالإلهة خائنة..

والبشر مدّعون..)

ثم انصرفت في هدوء كعادتها.. وبقيت دهشتي من عين كالجحيم تبكي بتلك الرقّة..

كان اليوم التالي هادئاً كفاية لأن أبحث و"بوليفيموس" في العزبة عن أي أثر لأي شيء آخر غير ذلك القبر الذي وجدوه بمحض الصدفة..

التفتّ إليّ "بوليفيموس" متردداً: أ.. أعتذر عن التهام الدجاج ذلك اليوم..

أشحت بيدي: لا عليك، عندما يتصوّر أحدنا جوعاً فهو يلتهم الدجاج حيّاً مثل الفيشار.. أفعل ذلك من حين لآخر..

"بوليفيموس" بجديّة: أعتذر إذا أفسدت وجبتك ذلك اليوم..
قلت له وأنا أخطو على شجر مهشّم: لا عليك، ولكن إذا أردت
نصيحتي.. دوماً، ابدأ بالخفير..

"بوليفيموس": ولكن.. هـ.. هل ستعذرني إذا..

نظرت له في فزع: هل التهمت عم "زباع"؟ إنه في إجازة..

"بوليفيموس": لا ولكن..

بدأ التوتر يسري داخلي من تردده الزائد: أخبرني ماذا حدث
فسقف الكوارث مرتفع كما يقول "أبوزيد"

"بوليفيموس": كان هناك حيوان بيّ اللون..

اللعنة..

لا ليست البقرة..

"بوليفيموس": أظنّها "بقرة"

ليته التهم عم "زباع" بالفعل..

ستفقد أمي صوابها إذا عرفت ما حلّ بحيواناتها هنا..

قلت في هدوء: انظريا "بوليفيموس"، نحن هنا لنا قوانين مختلفة
قليلاً عن عالمك الذي كنت تحيا فيه.. فكما ترى فإن أحجامنا صغيرة
وكذلك الحيوانات المسكينة التي ترقد في سلام داخل معدتك..
واختفاء هذه الحيوانات قد يسبب مشكلة ما لا قبل لي بها.. فارجوك،
أخبرني إذا أردت أن تتناول طعاماً أو إذا ما شعرت بالجوع.. ولا تلتهم
شيئاً ولا أي كائن يتنفس حولنا.. اتفقنا..

"بوليفيموس": حسناً.. سأخبرك قبل أن أفعل أي شيء.. أعتذر

عن..

نظرت له: لا أدري ما أقول ولكن، أأست تأكل لحوم البشر؟
نظر "بوليفيموس" في تعجب: لحوم البشر؟ لم قد أفعل هذا؟
قلت: لا أدري ولكننا نعرف هذا عنك..

"بوليفيموس": إذا كنت أكل لحوم البشر، فلم أربّي الخراف إذًا ولا
أهاجم القرى وهو أسهل وأسرع!!!

قلت: وجهة نظر سديدة –ثم استأنفت خطواتي وسط الزرع
المهشّم- ولماذا قتلت "أكيس" إذًا؟

حكّ "بوليفيموس" لحيته: من "أكيس" هذا؟

قلت: الخالد الذي سرق منك حبيبتك.. "جلاتيا" حورية البحار..
قال وهو ينظر بعيدًا في غير اهتمام: وكيف أقتل شخصًا خالدًا؟..
"جلاتيا" لم تحبّي فتركها وشأنها..

قلت في استنكار: ولعلّ "بيرسيوس" لم يفقأ عينك؟

"بوليفيموس": لقد أصابني إصابة بالغة وأنا أحاول أن أمنعه من
الذهاب إلى "ثينو" و"يوريال" و"ميدوسا"
ثم ظهرت الطفلة..

قلت في نفاذ صبر: هذا وقت مناسب للمصائب إذ أننا لا نجد ما
نفعله كما ترين.. هلمّي يا صغيرتي أخبريني ما عندك..

نظرت لي الطفلة في غير فهم وقالت: أنا تائهة

نظرت إلى "بوليفيموس" ونظر "بوليفيموس" إلى الطفلة قائلاً:
أأست مع "آرتميس"؟

الطفلة: من "آرتميس"؟

حككت رأسي حتى وصلت تقريبًا إلى قاع الجمجمة ثم قلت: هلاً
تخبريني من فضلك من أنت؟

بكت الطفلة بعينين بريئتين حقاً..

...

في ذات الوقت سمعت "أبوزيد" ينادي من البيت: الطفلة هنا..

...

وقفت بجانب "أبوزيد" و"ثينو" ننظر إلى الطفلتين..

هما ذات الطفلة بدون تغيير حتى في ذرات التراب على ملابسهما..

...

"أبوزيد": هنا يتوقف عقلي قليلاً عن العمل.. ما هذا؟

كنا متوترين عدا "ثينو" التي اقتربت في هدوء منهما وهي تقول:
ألستما مرتعبتان من مظهري؟

هزتأ رأسهما أن "لا" ثم قالت "ثينو": ولا من ذلك العملاق هناك؟

هزتأ رأسهما أن "لا" ثم قالت "ثينو": وما رأيكما بالفارس
و"الكاميرا" جواره؟

ضحك "أبوزيد" ونظر إلي قائلاً: كان الأفضل لك أن تخرج من
"ثقف طفلك" على أن تصبح "كاميرا"

قلت له: هل هذا وقت للضحك

"أبوزيد": أضحك أم أركلهما؟

أعادت "ثينو" السؤال عليهما فقالا: هذا الرجل شرير

اعتدلت "ثينو" وهي تسأل: أي رجل؟

فأشارتا إليّ دون تردد..

ثم اختفتا..

...

"أبو زيد": لا عجب أنني لا أحب الأطفال..

"ثينو": الأطفال لا تخافني إذا ما لاحظت ما ذلك..

"أبو زيد": هذا ليس وقت المشاعر والأحاسيس يا سيدتي..

"ثينو": لا أقصد ما فهمت.. أقصد، أي نوع من الأطفال هذا الذي

لا يخافني?!!!

..

: ألو.. "عميرة"

: أمي، كيف حالك؟

: ماذا يحدث عندك؟

: ماذا يحدث عندي؟

: اتصلت بعم "زمباع" عن طريق الخطأ حتى أومه عما فعله معك

فأخبرني أنكم تصورون فيلمًا ما

: لا تتصلي بعم "زمباع" عن طريق الخطأ مجددًا لتلوميه يا أمي إنه

شيء بسيط غير مقصود.. نعم، هناك فيلم يتم تصويره في الأنحاء

ورأوا أن بيتنا هو أنسب مكان للبدء منه..

: على كلٍ، لقد قطعت أجازة "زمباع" وأخبرته ألا يتركك ولو

للحظة.. لا تقلقني عليك يا "عميرة"

: حق لك أن تقلقني وهو بالقرب مني.. لا أحتاج..

- انقطع الاتصال-

..

نظر "أبوزيد" مليًا إلى "ثينو" ثم قال: فيم تفكرين؟

"ثينو": في الطفلة

"بوليفيموس": تقصدين الأطفال؟

"ثينو": لا.. هي طفلة واحدة تتلاعب بنا..

ثم عقدت ذراعها قائلاً: وأشكّ بأن هذه طفلة من الأساس

"طفلة مريبة"

لماذا انقطع التيار الكهربائي داخل البيت فجأة؟

لماذا وجدنا الكابلات مقطوعة؟

لا أعلم سوى أنني أجلس مع الجميع في اليهو على ضوء بعض الشموع التي تسمح لنا أن نرى بعضنا في وضوح..

"بوليفيموس": هل تسمعون هذا؟

"أبو زيد": هذا صوت امرأة تستغيث؟

قلت في تعجب: امرأة؟ تستغيث هنا؟

"آرتميس": سأذهب و..

نهض "أبو زيد" وربّت على ظهر "بوليفيموس": تعال معي

...

"ثينو": لا أكنّ لكِ أية ضغائن

رفعت "آرتميس" رأسها وهي تقول: لو كنت أعلم ما فعله "بوسايدن" بكنّ لوقفت معكّن.. ولكنّه أبقي الأمر سرّاً حتى فات أوان المعرفة..

"ثينو": كنت أعرف أنّك لن تقفي في صفوف ظالمة.. صدقيني، أنت الوحيدة الصالحة لاعتلاء ذلك الجبل – جبل الأوليمب-

"آرتميس": بالطبع.. فما حدث لأمي، لا أقبل أن يتكرر مع مخلوق

آخر

"ثينو" في هدوء وهي تنظر للشموع أمامها: أمك؟ "ليتو"؟

هزّت رأسها أن "نعم" فسألتهما مقاطعاً: هل كانت أمك أرضية
مثلنا؟

"أرتميس": لا. "ليتو" هي ابنة الجبابرة الأوائل "كيوش" وأمها
"فوي" – ثم قالت في هدوء لـ "ثينو" – لقد خان "زيوس" "هيرا" مع
أمي "ليتو" مما جعل "هيرا" تصبّ جام غضبها عليها وتمنعها حتى أن
تلدني بمطاردتها بالحيات والثعابين في كل مكان.. ولكنني في النهاية هنا،
جنت رغماً عن الجميع.. حتى "زيوس" الذي وقف عاجزاً عن درء
الأذى عنها وأبى أن يعترف بها على جبل الآلهة..

"ثينو": كما أقول دائماً.. آلهة خائنون وبشر مدّعون..

...

دخل "أبو زيد" وهو يقول لـ "بوليفيموس": هلا تحملها بشيء من
الآدمية من فضلك؟

وضعها "بوليفيموس" على الأريكة فاقدة الوعي بين نظراتنا
المتسائلة..

سألت "أبو زيد": هـ.. هل ماتت؟

"أبو زيد": بل لم تتحمل وسامة "بوليفيموس"

...

أفاقت تلك السيدة كثيراً تلك الليلة..

و"كثيراً" هنا تفيد بالضرورة أنها قد فقدت الوعي كثيراً..

جداً..

...

"أبو زيد": لقد اقترب الفجر وهذه السيدة مصرة على فقدان الوعي بشكل رهيب..

"تينو": أرى أن نختفي قليلاً وأن نتركها مع "أبو زيد" و"عميرة"
"أبو زيد": أو أن نخبرها أننا نمثل الجزء الثاني من فيلم الوحوش
هذا أيضاً.. تبدو طريقة ناجحة
"أرتميس": فلنحاول

وللعجب، فقد نجحت تلك الطريقة مع السيدة أيضاً مما زاد "أبو
زيد" إعجاباً بهذه الجملة..

...

السيدة وهي ترتجف: ولكن المؤثرات رهيبة بحق—رشفت من كوب
المياه وهي ما تزال ترتجف- ش. شكراً لك يا.. أ.. يا..

قلت: اسمها "سالي" ولكن أرجوك نادِ الجميع بأسماء الشخصيات
فلقد تعبت كثيراً حتى تَمَصَّصوا الأدوار مع المؤثرات بتلك الطريقة
البشعة.. الرائعة

ابتسمت السيدة في أدب وهي تقول: شكراً يا.. أ.. "ميدوسا"؟

قلت بابتسامة مصطنعة: لا.. هي أختها، "ستينو" وللتخفيف
"تينو" أو "سينو" كما تشائين.. إحم، ومن أنت وماذا تفعلين هنا؟

السيدة: أنا "رهام" مهندسة ديكور، لقد ابتعت العزبة التالية منذ
عشرة أيام وجئت لإلقاء نظرة عليها فقط..

"أبو زيد": الآن؟ في منتصف الليل؟ ونعم الوقت

"رهام": كنت عائدة من المطار فمررت عليها في طريقي..

"تينو": اعدروني فهذه المؤثرات تحتاج للتعديل..

ثم انصرفت "ثينو" إلى الخارج وجالت السيدة بعينها في البيت وهي تقول: جميل بيتك يا.. لم أتعرف باسمك

قلت: "عميرة"

"زهام": هل أنت مخرج ما؟

: نعم، أنا مخرج وفي وقت الفراغ أدرّس للصفوف الابتدائية مادّة الدراسات الاجتماعية

ضحكت "زهام" حتى بدت نواجذها ثم قالت: أنت تمنح صحيح؟.. و.. اعذرني ولكن، هل هذه مكتبة بالأعلى؟

نهضت وقلت لها: إذا أحببت أن تلقي نظرة فتنفضلي..

قبل أن أصدع خلفها بالشمع في يدي همس "أبو زيد" في أذني: هذه السيدة رائعة الجمال

قلت في ثقة: لا تقلق، لست في مزاج جيّد للارتباط.. وبعد كل ما حدث لي فأنا لا أصلح بدنيًا ولا نفسيًا للزواج..

قال في نفاذ صبر: هفف، هذه المرأة هنا لسبب نجمله..

...

كنت أنظر لوجهها الفاتن على ضوء المشعل..

لا أستشعر خطرًا منها حتى الآن.. هي امرأة فاتنة ذات ثياب تبرز جميع مفاتها تنظر في مكتبة رجل عرفته للتوّ على ضوء الشموع قرب الفجر دون أن تعرف مصيرها بعد أن رأته وحوشًا من المستحيل أن أقنع طفلًا أمامهم أنهم ليسوا حقيقيين..

لا خطر إذاً هناك..

...

ثم سمعت آخر صوت كنت أودّ سماعه تلك الليلة..

أولباق حياتي..

...

"أستاذ عميرaaaaaaaaااع"

انتفضت "زهام" مكانها ثم قالت في خوف: من الواضح أن أعصابكم حديدية لتعيشوا جوّ التشويق هذا دائماً

قلت في يأس: لا تقلقي إنه..

"أستاذ عميرaaaaaaaaااع"

"أستاذ عميبييرaaaaaaaaااع"

صرحت من مكاني وأنا أعتصر جبتي بأصابعي: اصعد يا عم
"زمبأaaaaaaaaااع".. اصعد

صعد الرجل النحيل الدرج في خطوات رشيقة يتخللها بعض السعال من فرط السجائر حتى وقف أمام المكتبة ناظراً في هيام إلى "زهام" والسيجارة تدخن نفسها بين أصابعه..

وبمجرد النظر إلى وجهه الرومانسيّ، فقد عرفت على الفور إجابة سؤال جدّي له طوال الأعوام السابقة (لماذا لم يتزوج!)..

: خيراً يا عم "زمباع"

"زهام" في سعادة: أوه، اسمه "زينباع"؟ اسم رائع

عم "زمباع" ولم يلتفت إلي من الأساس: أليس كذلك؟ لأول مرة أعرف أن اسمي بهذا القدر من الجمال.. هل تعرفين أن "زمباع" تعني القوة والجرأة والجسارة والإقدام والعزيمة والإرادة البطولة والذكاء والدهاء والمك.

صحت فيه: أية جرأة وبطولة؟ الـ"زنباع" هذا ليمون كبير..

"زهام" في دهشة: أوه، جريب فروت؟

قلت بنفاد صبر: هل لي ببعض من انتباهك قليلاً يا عم "جريب
فروت"؟ ماذا أتى بك الآن؟

عم "زنباع": لقد جئت بناء على مكاملة الحاجة والدتك - ثم نظر
إلى "زهام" - أنتِ بطلة الفيلم؟

قلت: انتظرنى بالأسفل يا عم "زنباع" سأناديك.. وأرجو أن تلق
نظرة على الكابلات

فغادر في تأقّف وضجر بالطبع..

ثم عدت أنظر لها..

هي فاتنة..

فاتنة بشكل مخيف فعلاً..

"زهام": لديك مجموعة مثيرة للاهتمام.. أهذه مجموعة الـ"
أنوناكي"؟

: اعذريني؟ ما معنى هذا؟

"زهام" ضاحكة: الآلهة السومرية كانت تعرف جميعها باسم الـ"
أنوناكي".. ولا تظنّ أن تلك ثقافة ولكنها المعلومة الوحيدة التي أُممت
بها أثناء تصوير مسلسل مغمور منذ شهور..

ثم نظرت في ساعة يدها: أعذرني لقد تأخر الوقت وعلي أن أذهب..

قلت: هل أوصلك إلى..

قالت وهي مغادرة: لا، أشكرك.. معي سيارتي بالخارج.. سأعود لزيارتك لو لم يضايقك هذا..

: لا بالطبع.. هو بيتك.. ولكن، لا تلتفتي لأي شيء قد تظنينه مريباً هنا.. كلها كما تعلمين، مؤثرات..

...

غادرت وسط نظرات الجميع المتشككة..

عدا عم "زُمبَاع" المحبّ ذوالابتسامة الساحرة بالطبع..

...

عادت "ثينو" من الخارج فور أن غادرت "زهام" وهي تجول بناظرها حولنا.. فلما رآها "زُمبَاع" صَقَّق قائلاً: مدهش، هذا عمل متقن - ثم شمّر عن ساقيه وأمسك جليابه والسيجارة في فمه متجهاً إلى خارج البيت- ربنا يوفقكم..

لم تلتفت "ثينو" له ولكنها سألتني يهدونها المعهود: أين المطار؟

قلت: المطار؟ بعيد.. ولكن، لم؟

"ثينو": هل يستطيع أن يذهب إليه المرء ماشياً؟

نظرتي "أبوزيد" ثم لها: ماذا تقصدين؟

"ثينو": ألم تستقلا سيارة عندما ذهبتما لمكان بعيد أنت و"عميرة"؟

"أبوزيد": حسناً؟

نظرت "ثينو" إلي مجدداً: هل من الطبيعي أن تأتي "زهام" إلى بيتها

الذي يليك على قدميها؟ دون سيارة؟

"أبوزيد": صحيح لم تكن هناك سيارة عندما وجدناها..

قالت "ثينو" بذات الثبات والهدوء: وقد تلاشت فور خروجها من هنا..

...

صعدت إلى المكتبة دون أن أنطق كلمة واحدة وأنا أفكر في ما يحدث من حولي.. ثم رفعت رأسي عندما وجدت "أبو زيد" يجلس أمامي في صمت هو الآخر..

ظللنا صامتين لدقائق حتى نهض ليحرك المكتب من أمامي قليلاً.. فسألته: ما هنالك؟

"أبو زيد" وهو ينحني ليلتقط شيئاً ما: كتاب سقط بجوار المكتب..

لما اعتدل "أبو زيد" وهو يمسك به ثم قال: اللعنة.. إلا هذا

..

جلسنا جميعاً ننظر إلى "أبو زيد" والليل ينجلي شيئاً فشيئاً..

ولم أره متوتراً هكذا منذ قابلته

...

قال "أبو زيد" في جدية: هناك افتراض بشع قد قفز إلى مخيلتي إذا ما كان هذا الكتاب بين ما قرأه "عميرة"..

نظرت إلى الصفحات التي أظهرها من الكتاب فقلت: نعم، ولكنني مررت عليها مرور الكرام..

"أبو زيد": بين تلك الصفحات التي أشرت عليها بأصبعك الكريم هذا، هناك كلمة دون وصف أو بمعنى آخر هو اسم دون وصف لأن صاحب هذا الاسم ليس له وصف..

"أرتيميس": ومن هذا؟

"أبو زيد": "طنطل"

"بوليفيموس": من؟

"أبو زيد": "طنطل" هذا هو حرفياً ال "لا شيء" .. هو مسخ يتشكّل
في أية صورة ولا هيئة له

قلت: أليس ال "طنطل" هذا هو رمز للبطولة و..

"أبو زيد": بالطبع لا.. فلو كان هو ما تقصد، لكتب جدك عنه شيئاً
يسيراً على الأقل.. ولكن، كما ترى.. لا شيء..

"تينوس": أتقصد أن الطفلة هي "طنطل"؟

"أبو زيد": لو صحّ هذا، فنحن جميعاً في مأزق كبير

...

نداءات "عم" زمباع

"أستاذ عميرaaaaaaaaaaaaaaع"

"أستاذ عميرaaaaaaaaaaaaaaع"

"أبو زيد": ذلك الرجل المزعج يناديك ويصطحب آخر معه

خرجت إليه متثاقلاً: ماذا تريد يا عم "زمباع"؟ ومن هذا؟

عم "زمباع": هذا هو الباشمهندس "رفعت" الكهربائي.. انتظرت وضوح النهار حتى أحضره..

: شكراً على مجهودك يا باشمهندس، خذه يا عم "زمباع" إلى الكابلات المقطوعة ناحية الفناء الخلفي..

عدت إلى الداخل لألقي بجسدي المنهك على الأريكة المحطّمة أنظر إلى الفراغ من حولي: أين الجميع؟

"أبو زيد": "أرتميس" بالمكتبة، "ثينو" داخل تلك الحجرة المظلمة أسفل الدرج، "بوليفيموس" ينام بطول الطرقة عن يسار باب البيت في الظلام حتى لا يراه أحد

: وهل اتسعت له؟

"أبو زيد": ينام على جنبه محدّقاً إلى الحائط.. أو لعلّه نام فهو ثابت منذ فترة بسيطة.. من كان هذا الرجل؟

: مختصّ بشئون الكهرباء.. حتى ينبر الـ. أشياء من هذا العصر كما

تعلم

ابتسم "أبو زيد" بفكّه العريض وملامحه الوسيمة ثم قال: قد أكون من مكان آخر.. زمان آخر.. ولكنني لست غيباً يا "عميرة".. قد لا أعرف شيئاً عن الهاتف في جيبك ولكنني أعني أنه وسيلة اتصال ما.. كهذا الشيء المرعّ بالأعلى

: التلفاز؟

"أبو زيد": التلفاز.. نعم.. هو يعمل بطريقة ما حتى يطلعك على حدث آخر أو أشخاص آخرون.. فلست من الغباء حتى أظنّ أنك تقوم بتربية أقزام داخله..

: رأيته يعمل؟

"أبو زيد": عندما جئت.. كان هناك أناس يركضون داخله يخطفون من بعضهم كرة مستديرة.. كان شكلهم يدعو للضحك..

: حدثني عن قومك وحياتك يا "أبو زيد"

"أبو زيد": أردّ عليك؟ هل هذا مسموح؟

: ما بك يا "أبو زيد"؟

"أبو زيد": إذا كنت تسأل عن قومي وحياتي.. فاقراً "ثقف طفلك" - ثم ضحك حتى قهقهه وبدت نواجزه-

وما أن سكت حتى نظر للأعلى ثم قال: هذا المصباح ينير.. يبدو أن ذلك الرجل قد نجح في..

(بووووم)

دخل عم "زمباع": هل أنت أكيد يا أستاذ "عميرة" أن تلك اللوحة متصلة بالبيت كلّه؟

"أستاذ عميراً!!!!!!ع"

"أستاذ عميد."

صحت في ملل: ماذا تريد؟

"أبو زيد": قل لي مجددًا لماذا يعمل هذا الرجل هنا؟

: وصية جدّي

"أبو زيد": لماذا يناديك وهو يركض نازلاً مع "رفعت"!!؟

قال عم "رفعت" متذمراً: قل لصديقك ذاك أنني أريد أن أنهي عملي ولا وقت لي للمزاح.. لقد تركت عملي في السفارة حتى أحضر لك وسأعود إلى وزارة الخارجية وأنت تعلم أن مواعيدهم مقدّسة وفيلاً الممثل..

قاطعته قائلاً: نعتذر لجنابكم عن ذلك ولكن -ثم نظرت إلى عم "زمباع"- لم تمنعه من العمل؟ ألا تعلم ما نحن فيه..

عم "زمباع": لست أنا.. بل صديقك النائم بالأعلى..

: أيّ صديق؟

"أبو زيد": هيا نصعد.. انتظرانا هنا.. وهنا.. أعني هنا في مكانكما..

ولمّا وصلنا إلى الدرج قال "أبو زيد": أو اذهبا خارجاً حتى نعود.. هذا أفضل..

..

كنا نصعد على سلّم خشبي للعلية وهو يئنّ ويصرّ تحت أقدامنا..

"أبو زيد": كيف لم يبحث أحد في هذا المكان من قبل؟

: لا أدري ولكن اخفض رأسك فالباب فوق رأسي يحمل أطناناً من
التراب

"أبو زيد": ألم يفتحاه هذان الأحمقان للتو؟ لماذا لم يسقط التراب
فوق رأسيهما؟

: يبدو أنهما قد فتحا النافذة بالداخل فحركت التراب تجاه المدخل
مجدداً

ثمّ فتح أحد ما الباب ونحن ننظر له من الأسفل..

"أبو زيد": وكأني أسمع "ثينو" تقول خمسة وستون..

ظلّ الرجل ينظر لنا بوجهه المرعب ولباسه المريب في صمت ونحن
نبادلّه النظرات من الأسفل

: ومن أنت؟

قال الرجل: بل من أنت؟

: "عميرة" وهـ.. هذا "أبو زيد"

"أبو زيد": هل من الممكن أن نأخذ وضِعاً أكثر راحة؟ إما فوق أو
تحت؟

قال الرجل: لستما عدوين؟

: لا.. كما ترى.. أنا أعزل

"أبو زيد": وأنا أضع أرنب السلام على صدري

..

نزل الرجل معنا طوعاً إلى الهو وتركنا عم "زمباع" والكهربائي
الدولي يمارسان عمله - عمل الكهربائي حيث لا أعرف ماذا يفعل عم
"زمباع" بالضبط

..

"إدفن" قالها الرجل بذات النظرة المريبة المتشككة: اسمي "إدفن"

: وماذا كنت تفعل بالأعلى؟ ومنذ متى وأنت بالأعلى؟

"إدفن": منذ أيام.. انتظرت هدوء الوضع من حولي حتى أستطيع
التفكير..

"أبو زيد": فيم؟

"إدفن": لقد وجدت وحوشاً كثيرة ومقاتلين كثر ولكنني لم أتبين
عدواً واحداً من بينهم وإلا لقتلت الجميع

نظرتي "أبو زيد": هل تعرف أسطورة باسم "إدفن"؟

: لا.. لم يرد هذا الاسم على مسامعي قط..

نظرت له "أبو زيد": تبدو محارباً قوياً.. دعني أحمّن أنك من بلاد الثلج

هز رأسه الضخم ولحيته البرتقالية أن "نعم".. قلت: الفايكنج؟
محارب فايكنج؟

قال في فخر: قائد جيش النخبة

: النخبة؟

تذكّرت في تلك اللحظة إعجابي بنخبة جيش الفايكنج.. فهم قلة
ولكنهم كانوا يعدّون جيشاً وحدهم حتى أن الفرد منهم كان جيشاً في
حدّ ذاته..

سمّى التاريخ مقاتلهم بـ" بيرسيرك" أي "الخارج عن السيطرة"..
وذلك لأن القادة أنفسهم لا يملكون سيطرة عليهم عندما يطلقونهم في
المعارك ولا يجروؤن على إعطائهم الأمر بالكفّ أو العودة.. فهم يمرحون
كما يمرح الذئب المتضوّر جوعاً في عشّة من الدجاج الأعرج.. عملاً
بمبدأ "الكثير من الدماء، الكثير من المتعة".. لدرجة أن بعضهم كان
يقضم الأعداء في أرض المعركة..

والجالس أمامي هنا هو نخبة النخبة فيهم؟

قائد "البيرسيركيين"..

"أستاذ عميرaaaaaaaaaaaaaaع"

"أستاذ عميرaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaع"

تجاهلته ثم سألت "إدفن": "أعذرني، ولكن كيف بقيت بالأعلى
طوال تلك الفترة؟

"أبو زيد": "هل تسأل مقاتلاً كهذا الرجل كيف بقي؟ أنت تمزح

نظر "إدفن" لـ "أبو زيد": "أنت مقاتل أيضاً؟

"أبو زيد": "نعم.. عربيّ"

نهضت من مكاني وأنا أرجو أن يتألف ذلك الرجل مع "أبو زيد"
جيداً.. قد لا أثق في هيئة ذلك الوحش الكاسر الذي يجلس في هيبة
برتقالية، ولكنني أثق في ذكاء "أبو زيد"..

"أستاذ عميرaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaع"

: لماذا تتناديني بهذا الاسم يا عم "زبياع" ؟

عم "زبياع": "أليس هذا اسمك؟

قال بذات البسمة السخيفة: هناك من قدّم بلاغاً ضدك بسبب
الضوضاء

: ضوضاء؟ أية ضوضاء؟

عم "زمباع": سرقة الكهرباء إذا؟

: لقد أصلحها سوبر "رفعت" هذا لتوّه.. ألم تسأل الضابط عن
السبب؟

قال بسعادة غامرة: لا

: ولم أنت سعيد هكذا؟

تهدّ محاولاً في شفقة أن يبدو وسيماً: لأن الأستاذة "رهام" معهم..

...

"منحنى جديد"

قال الضابط: مساء الخير، الرائد "حسن شندي"

نظرت له ولسيارة الشرطة خلفه ثم لـ "زهام" والعساكر: "عميرة خالد" صاحب البيت.. ماذا هنالك؟

قال: هناك بلاغ ضدك من مجهول بأن هناك نشاطات مريبة تجري هنا..

نظرت لي "زهام": هل تسمح لي؟.. يا أستاذ "حسن"، هذا رجل محترم ومخرج قدير.. ما تراه هنا هو تصوير لجزء من فيلم أجنبي.. إنه تنشيط للاقتصاد والسياحة كما تعلم..

حتى وإن كانت تدافع عني، فلا تزال غير مريحة على الإطلاق.. تلك التنورة الضيقة القصيرة، هذا الجاكت الضيق القصير، القميص الأبيض المجسم، حذاؤها ذو الكعب المرتفع، شعرها الأسود المسدل، ملامحها الفاتنة الطبيعية، عطرها الساحر، حتى صوتها هادئ، ناعم وهي دومًا تتحدّث بدلال..

لا أظنّ الأمر إعجاب على الإطلاق، فأنا كأني شاب ترعرع بين أقرانه من حبات الباذنجان على عربة الفول.. ذو بطن صغير يعتبر مثالاً حيًا على عملية الاتزان الكيميائي.. فهو لا يتغيّر مهما فعلت.. فماذا تريد هذه الفتاة أو المرأة؟!؟

تنهت على صوت الضابط يصافحني وهو ينظر لها: شكرًا لك يا أستاذة "زهام" وجزيل شكري والسلام للسيد اللواء..

قلت في سخرية: سأخبره سلامك..

ثم نظرت له وهو يغادر أمام عم "زمباع" – السحلية الغيور –

...

سألتهما: من قدّم ذلك البلاغ؟

"رهبام": قد يكونون أصحاب العزبة السابقة لكم!

: إنها أرض مهجورة منذ فترة.. أ.. تفضّلي بالدخول

دخلت إلى الهو فوجدته خاليًا إلا من حطام الأثاث فقالت: يبدو
حقيقياً جداً

: على الأقل هذا يبدو حقيقياً

لم تنتبه لتلميحي ثم جلست على طرف الأريكة: هل تستخدم
عزبتك هنا كموقع للتصوير دوماً؟

: هذا أول عمل لي في الإنتاج وفضّلت أن أبدأ بمكان لا يعرفه أحد..
هل لي بسؤال عن شيء مريب؟

"رهبام": طبعاً، تفضّل

: كيف اختفيت في المرة السابقة..

ضحكت في دلال كعادتها: اختفيت؟ إن المؤثرات تلعب دورها
معك.. لقد كان الهواء شديداً بالخارج وقد غطّاني التراب تماماً.. ثم
طلبت خدمة توصيل السيارات عبر الهاتف وذهبت بعيداً.. لقد
أخرجت بالطبع أن أطلب منك أن توصلني..

هي تتحدّث في مرح وبلا تكلف ولكنني غير مطمئن لها بالمرة..

"إدفن"، "أبو زيد"، "بوليفيموس"، "آرتميس"، "تينو"

أساطير تجلس أمام بشري مثلي.. محاولين أن نعرف حتى ما هي
الخطوة التالية لهذا الموقف الذي نحيا فيه؟

"إدفن": لو كانت العودة مستحيلة. فلماذا لا يمكن لنا التعايش
هنا؟

"أرتميس": لقد خلقنا لزمان ومكان محدّدان ولا أظنّ أحدنا قادر
على التكيف هنا

قلت: "أرتميس" محقّة، فطبيعة كل منكم مختلفة عن المكان هنا
وعن طبيعة الزمن الذي نحياه.. أنتم قوم ذوو بأس ومهارات قتاليّة
ليس لها أي متنقّس هنا.. واختلاف الثقافات هذا قد يكون عائقًا
أمامكم..

"أبو زيد": وسيتوقّف هذا في النهاية على قدرة الفرد فينا على
التكيف..

دخل عم "زمباع" في هدوء على غير عادته وجال بعينه بيننا في
توتر ثم دعاني على انفراد..

عم "زمباع" هامساً: هل أنت مطمئنّ لهؤلاء الأشخاص؟

لم أعتد هذه النبوة منه أبداً: لماذا؟

عم "زمباع": هناك شيء ما قد حدث وهو لا تؤاخذني، بمثابة
المصيبة فوق رأس حضرتك وعائلتك فرداً فرداً

وضع سيجارته في فمه وضيق عينيه في مكرٍ شديد ثم انترعها..

تلّفت حوله ثم قال: تعال معي

مشيت خلفه وأنا أقنع نفسي جاهداً أنه قد يتفوّه بشيء مفيد هذه
المرّة..

توقّف عم "زمباع" داخل الفناء الخلفي قائلاً: انظرا!
جلت بناظري حتى اصطدمت عيني به مجدداً: ماذا هنالك؟ لا شيء..

عم "زمباع": بالضبط.. لا شيء.. لقد اختفى الدجاج..

: هل يستحق الدجاج هذا التشويق؟

تلقت حوله مجدداً: ليس هذا فقط.. تعال معي

: أرجو أن يكون شيئاً مهماً هذه المرة

مشينا على ضوء الهاتف مسافة لا بأس بها حتى باب العزبة -الذي من حسن حظي لا يزال موجوداً- ثم قال: من هنا..

ابتعدنا عن سور العزبة بالكلية وعبرنا الطريق المظلم حتى وصلنا إلى أكوام ترايبية..

وكان ما رأيته لا يبشّر بأي خير..

إنها جثة هامدة.. وهي لشخص يبدو مألوفاً لي!

نظرتي عم "زمباع" قائلاً: إنه الضابط الذي جاءك في الصباح

...

هذه قطعاً ليست مصادفة..

وليس سوء حظ أضيفه إلى المصائب التي تحلّ فوق رأسي منذ فترة..

قطع عم "زمباع" الصمت قائلاً: هل تثق بطاقتي عمك هذا؟

: هل ينتابك الشكّ في أحدهم؟

أشعل سيجارة أخرى وهو يقول: طبعاً! كما ترى. الوفاة غير طبيعية..

: حقاً؟ الوفاة غير طبيعية؟ هذا شخص نصف عار وملقى خلف أكوام التراب ويملاً وجهه أثر الدماء..

عم "زمباع": إذاً أنا على حقّ

: هل رأى أحد غيرك هذا؟

هز رأسه بالنفي فاستطردت: هيا نعود قبل أن يرانا أحد..

...

عدنا أدراجنا سريعاً. نلهث ثم توقفت في منتصف العزبة ملتفتاً له: لا تخبر أحداً هناك عن هذا الأمر..

أخذ نفساً طويلاً من السيجارة: لا تقلق..

...

ما أن دخلنا إلى البيت حتى صاح عم "زمباع": من قتل الضابط "حسن شندي" الذي جاء في الصباح وألقاه خلف أكوام التراب في الجهة المقابلة للعزبة؟

نظر له الجميع غير فاهمين ما يحدث.. في حين نظرت له في غيظ شديد، فمال إلي يقول: المفاجأة تريك الفاعل دائماً وتدفعه للاعتراف

: لقد رأيت الضابط مقتولاً الآن مع عم "زمباع"..

نهض "أبو زيد" متثاقلاً: ألم تقل أنه كان مع "زهام"؟

: لا أريد أن ألقى التهم جزافاً.. دعنا نتأني قليلاً.. فقد بدأت الأمور في اتخاذ منحى جديد وهو غير محمود على الإطلاق..

عم "زمباع": أين السيدة الحمامة؟

"أبو زيد": "أرتميس" في المكتبة مجدداً..

: عم "زمباع"! اصنع لنا أكواباً من الشاي.. "أبو زيد"! تعال معي..
وبقيتكم! دون أدنى إهانة، أرجو منكم أن تبحثوا عن أي شيء قد
تجدونه مريباً بالخارج مجدداً..

...

"أرتميس" وهي تمطّ رأسها للمكتبة في اهتمام: ما هنالك؟

قلت بضيق: شخص قُتل

جلس "أبو زيد": الضابط

نظرت لي "أرتميس" في مواساة: آسفة على هذا الوضع

: لا عليك، لم أكن أعرفه بشكل شخصي.. ولكن، سيبقى مقتله في
رقيبتي إلى يوم الدين حتى يثبت أن قاتله خارج الدائرة هنا..

"أرتميس": الأمور دوماً بخير حتى تسيل الدماء

"أبو زيد": هذا صحيح

مطت رأسها مجدداً لأعلى المكتبة وهي تقول: مكتبة مهولة بعرض
الحائط تئنّ بمئات الكتب والمجلدات الضخمة في جميع فروع العلم،
المعروف منها لي والغير معروف تحوي نسخة وحيدة من قصة اسمها
"ثقف طفلك"؟

: وماذا في ذلك؟ فكل الكتب هنا نسخة فريدة من نوعها..

"أرتميس": كل الكتب والمجلدات هنا للبالغين إلا هذا فقط

للطفل.. ولم قد يحتفظ جدك بهذه القصة؟

"أبو زيد": قد تكون ذكرى؟ مثلاً؟

"أرتميس": لقد خطَّ جدّه جميع الكتب بيده.. أما هذا، فمكتوب عليه دار نشر (... ..) واسمه غير موجود عليه

"أبو زيد": إلى ما ترمي؟

"أرتميس": إذا كنت سأبدأ بالشكّ داخل هذه الغرفة، فسأبدأ بهذه القصة..

قلت غير مبالٍ: لا أتفق معك ولكن. حسناً

"أبو زيد" وكأنما تذكّر شيئاً: ناولني هذه القصة

أمسكها وشرع يقلّب في صفحاتها ثم ألقاها أمامي: "أرتميس" محقّة..

نظرت إلى هذه القصة فوجدت صفحاتها بيضاء ناصعة.. لا مكان فيها لصورة أو حرف..

"أبو زيد": كانت البطاقة بداخلها، ولم تكن بهذا الشكل عندما نظرت فيها في المرة الأولى..

نظرت و"أبو زيد" طويلاً للقصة نفكّر في حين تجاهلت "أرتميس" الأمر برمته وظلت تحدّق في نهاية المكتبة.. نهض "أبو زيد" ليقف بجوارها ويمطّ عنقه هو الآخر..

نهضت من فوق الأريكة: ما هنالك؟

"أرتميس": هل جدّك هو من صمّم هذه المكتبة؟

: نعم.. لم؟

"أبو زيد": لو كنت مكانه لأمسكتها بالسلاسل من أعلى بدلاً من أن تسقط فوق الجالس تحتها

"أرتميس": لا أظنها كانت معلقة بهذا الشكل طوال تلك السنين..
وإلا سقطت

"أبوزيد": هل هذه قصة أخرى بالأعلى؟

...

دققت النظر: لا، هذه مَفكرة حاولت الانتحار ولكن المجلد الشهم
منعها..

"أرتميس": أتظن أن فيها شيئاً مفيداً مهيئتها ووضعيتها العجيبة
تلك؟

"أبوزيد": اصعد يا "عميرة".. أحضرها

قلت في استنكار: ولم لا تحضرها أنت؟

"أبوزيد": ستسقط المكتبة حتماً بوزني هذا - ثم ربت على بطني
الصغير- أنت أخف وزناً على الرغم من الخوذة التي ترتديها هذه..

نظرت له في غيظ: هل أنت أكيد من أنك "أبوزيد الهلالي" ولست
"جحا المصري"؟

"أرتميس": لا عليك، سأحضرها

قلت وأنا أنظر لـ"أبوزيد": لا عليك، سأحضرها أنا

تسلّقت الأرفف وهي تسبني لأنني أدهسها دهساً: لا أعرف كيف كان
يصل جدّي لذلك الارتفاع بطوله ذلك

"أبوزيد": لعله كان أرشق حركة وأخف وزناً

: ذكّرني أن أعيد النظر في الميثولوجيا العربية لعلني حقاً أخرجت

"جحا"

"أرتيميس": من "جحا"؟

"أبو زيد": شخص عربيّ مسالم معروف بخفّة ظلّه

قلت وأنا أرتفع أكثر: كيف تعرفه؟

"أبو زيد": لأنه عربيّ وليس مصرياً.. غير أنّه كان يعيش في القرن

الأوّل الهجريّ.. هو من "بني فزارة" إذا كنت تعلم عنهم شيئاً

: صراحة! لا

"أرتيميس": اثبت يا "عميرة" إن المكتـ.

..

ثم وجدتي أنظر للسقف ومئات الكتب فوقي

"أرتيميس": من حسن حظك أن المكتبة مالت بك فقط ولم تهشم

رأسك

قلت وأنا مستلق في ذات الوضع: ألم يفكّر أحد الأبطال الخوارق في

أن يتلقّفني بدلاً من هذه النظرات الهادئة؟

"أبو زيد": لم أكن لأفوّت هذا المشهد المضحك.. ف "جحا المصري"

يحب الضحك كما تعلم..

أرحت رأسي على الأرض ملياً ثم سألتهم: أتعلمان أمراً؟ هناك شيء

ما قد غفلت عن التفكير فيه..

"أرتيميس": وهو؟

: كيف خرج "بوليفيموس" من هذه الغرفة إذا كان قد ظهر فيها؟

"أبو زيد": يا إلهي.. أنت محقّ.. لقد دخل "بوليفيموس" من

الخارج..

"أرتميس": معنى هذا أنه قد يكون هناك أشخاص آخرون بالخارج
لا نعرفهم؟

هزّ "أبوزيد" رأسه ثم أردف: لا أظنّ أنّ للأمر علاقة بصغر حجمنا
أو وكبره.. فقد خرج "خارون" من غرفة المكتب بصعوبة بالغة.. ولكنني
أظنّ هذا أيضاً.. ألنّ تمهض من مكانك؟

: لولم تلاحظ ذلك فأنا أحاول بصعوبة بالغة..

هنا دخل عم "زمباع" مندفعاً ثم توقّف فجأة ينظر لي: لن أنظّف
هذا ولن أرتّب المكان ثانية..

سألته وأنا أتأكد من سلامة عمودي الفقري: ثانية؟ هل نظّفته من
قبل؟

قال في ثقة: نظّفته عندما أتصلت بي والدتك قبل سفرها وأخبرتني
أنك ستمكث هنا لبعض الوقت.. حتى أنّي أزلت الفوضى أعلاها..

"أرتميس": أية فوضى كانت أعلاها؟

عم "زمباع": السلاسل الصدئة التي كانت معلّقة بلا داع.. إن
الصدأ يجلب الفئران كما تعلمين..

"أبوزيد": لماذا جئت مندفعاً يا عم "زمباع"؟

: انتظر. فككت السلاسل؟ التي كانت معلّقة بالأعلى؟

عم "زمباع": طبعاً. لقد كانت معلّقة في الحائط ونشرت الصدأ
مكاتها – ثم قال في فخر- فنظّفت الحائط كما ترى..

"أبوزيد": إحم، لماذا جئت يا سيد "زمباع"؟

تحول فجأة وكأنه تذكّر أن يغضب ثم أشار بأصبعه لي: اسمع يا
أستاذ "عميرة" لقد خدمتكم في هذا المكان لسنوات طويلة.. وسكّت

عندما رأيت تلك الفتاة -وأشار لـ "أرتميس"- ترتدي هذه الملابس الفاضحة.. معذرة يا بنيّتي أنا في سنّ والدك.. وقلت بأنها من أجل الفيلم.. والأخرى ترتدي صديريّة.. فقلت تغطّيها التشوهات التي لطختم بها شكلها.. أما أن أجد امرأة حمراء تركض بالخارج بملابس داخلية.. هذا ما لا أرضاه ولا أسمح به.. هذا بيت شريف ولن أسمح بأن تسيء لسمعة الحاج "زين".. اعذرني أنا في مقام والدك طبعاً..

ثم خرج في غضب وحاول أن يغلق الباب وراه في عنف..

ولكن الباب ثقيل عليه..

فأشعل سيجارة ونزل إلى المهو تاركاً ثلاثتنا ننظر لبعضنا..

(المرأة الحمراء)

خرجنا جميعاً نبحث عن تلك (المرأة الحمراء) فلم نجد أحداً.. حتى بعدما بحثنا في جميع الأماكن داخل العزبة.. وظلّ عم "زباع" يقسم لنا بأغلظ الأيمان أنه رآها ونحن نقسم له أننا نصدّقه ولكننا لا نعرف من هي..

فنحن في موقف يضطرنا جميعاً أن نصدّق أي شيء..

...

فتحت المفكرة وكانت مهترنة ومكتوبة بخطّ اليد ولكن. باللاتينية..

ناولتها "أرتيميس" تقرأها: تعود هذه المفكرة إلى بعد ميلادك مباشرة يا "عميرة".. كتبها جدّك.. هممم.. حسناً، يقول جدّك فيها (عندما لجأت إلى "القاهرة" كنت أجهل تماماً أي مصير قد ألاقه وطفلي الصغير الذي لا يعي شيئاً بعد.. كان حسن حظّي هو ما جعلني أقفز آلاف السنين لأصبح في مكان يتواجد فيه اليونانيون كغرباء عن وطنهم حتى لا يُفضح أمري بين بنو جنسي فأصبح محلّ شكّ وريبة عندما يجدوني لا أعرف شيئاً عن "اليونان" الحديثة.. ولم يهتم المصريون كثيراً لسؤالي عن "اليونان" فهم -للأسف- كانوا يعرفونها أكثر ممّي وقتها.. عشت في سلام وساعدني البعض حتى أجد عملاً - التجارة -.. نشأ "خالد" محبوباً ممن حوله وشككت في مرة من المرات أنه يسرق من الناس حتى رأيته يخرج من يديه الذهب كالعجين ويشكّله على هيئة لعباً صغيرة.. لم يستحق الأمر أن أخفيه لأن قدرته كانت محدودة وضعيفة والفترات التي يستطيع أن يخرج بها الذهب من كفيه تفصلها

أسابيع وأحياناً شهور.. ولكن، كان عليّ أن أنبهه ألا يفعل ذلك أمام أحد وألا يخبر عن ذلك أحداً..)

قلّبت "أرتميس" الصفحات ثم قالت: هناك شيء آخر مكتوب هنا

(لما تزوّج "خالد" وأنجب "وائل"، تعجّبت من التسمية فأخبرني أنّها رغبة والدته فلم أعترض.. ولكنني ظللت أفكّر في الاسم.. فيجب أن يدلّ اسم كل فرد من عائلتنا على قدرة صاحبه أو ميزة على أقل تقدير..)

قلّبت صفحة أخرى ثم قرأت:

(لم يصدمني خبر وفاة "وائل".. قدر ما صدمني ميلاد "عميرة".. لقد كان الطبيب محقّاً عندما أخبرنا أن رحم أمه حوى جنينين، لا واحداً.. لقد التهم "عميرة" أخاه التوأم ليعيش هو.. ولم تكن تلك أنانيّة ولا بالشيء المشين على الإطلاق فهي إرادة الحياة التي يتكون منها البشر.. لذلك تمثّل الحياة بالنسبة إليهم أثمن ما لديهم..)

عندما نظرت إلى المولود، ارتعبت من وجود سبابتين مثقوبتين.. فهذا لم يحدث أبداً في سلالة "هوميروس" جدنا الأكبر المخلص لـ "هيداس" وأعظم ساحر فينا..)

رفعت "أرتميس" رأسها ببطء: أ.. أنت.. من سلالة "هوميروس"؟

"أبو زيد": لقد سمعت أن هذا شخص ينشد الشعر قديماً.. أليس كذلك؟

"أرتميس" وقد بدا عليها الحيرة: لا.. "هوميروس" هذا كان بشراً عادياً ولكنّه تعلّق بصخرة مسنّنة على جبل "هيداس" عندما سقط وهو يصطاد فأبقى "هيداس" على حياته ومنحه القوّة.. ولكننا لا نعرف أيّة قوّة منحها إياه..

استأنفت "آرتميس" القراءة وسط ذهول الجميع: (عدت لـ "هوميروس" بالزمان أسأله عن هذا المولود فقال "هوميروس": هو آخرنا.. وهو يحمل ذات الصفة -ثم رفع سبّابتيه المنقوبتان- نصفه ملعون والآخر عطية "هيداس"..

فسألته: وماذا أسمّيه؟

قال: خذ من الـ "كايميرا" لحنها.. فهو "كايميرا".. هو يفوقني قوة، ولو لم يكن عادلاً، ستهلكون

فسألته في حيرة: كيف يكون أقوى منك؟ لقد عشنا أجيالاً بفضل قوّتك أنت

قال: إن اسمي "هوميروس" ولكن حقيقتي هي "كيرييروس".. أما هو فالـ "كايميرا"

رفعت "آرتميس" رأسها تنظر لي في حيرة وكأنها فقدت القدرة على النطق..

"أبوزيد": ما الـ "كيرييروس" و الـ "كايميرا"؟ أنا لا أفهم شيئاً الآن

"آرتميس": كان الـ "كيرييروس" كأننا ضخماً ذو ثلاثة رؤوس يخدم "هيداس".. أما الـ "كايميرا" فهو كائن بثلاثة رؤوس أيضاً ولكنه أقوى وأعنف لأنه يتكون من ثلاثة حيوانات ضارية مختلفة..

: أنا لا أصدّق حرفاً من هذا فهو يبدو لي بعيداً كل البعد عن المنطق

"أبوزيد": عن ماذا؟ وهل تجد أي مما يحدث منطقياً؟

"آرتميس": على كل حال، لقد انتهى الكلام هنا وباقي الصفحات بيضاء..

نظرت لـ "ثينو"، "بوليفيموس" و"إدفن": أي تعليق؟

هزّ "بوليفيموس" رأسه بالنفي في حين قالت "ثينو": قدرة جدّك هي التنقّل عبر الزمن وقدرة والدك هي خلق الذهب بينما قدرتك هي تحرير الكلمات الحبيسة داخل الأوراق؟

"أبو زيد": هذا ما قالته "آرتميس".. أو ما قرأته إذا تحرّينا الدقّة
"ثينو": لا أظنّ بأنّ جدّك كان يجهل قدر قوّتك.. لقد كان يعلم ذلك جيداً..

"آرتميس": ولم تقولين هذا؟

"ثينو": ذلك رجل نهمّ للعلم والمعرفة فلن يفوت أمراً كهذا.. والدليل على ذلك أنه انطلق عائداً بالزمن فور ولادة "عميرة".. وما سمعه من "هوميروس" ليس بالأمر الهين.. فأغلب ظنّي أنّه قد عرف على الأقل ما هو قادر عليه.. بالإضافة إلى أنني أشكّ بأن قدرته هي مجرد تحرير الكلمات الحبيسة داخل الأوراق.. لقد قال "هوميروس" أن قوة "عميرة" تفوق قوّته التي أثّرت في أجيال من السحرة..

قلت مقاطعاً: أنا لا أظنّ بأنني أملك أية قوى من أي نوع.. لقد تحطّم عمودي الفقري عندما سقطت من ارتفاع مترين ونصف..

"أبو زيد": نعم، لقد كان شكله مضحكا للغاية

نظرت له في ضيق قائلاً: هلاً تفعل شيئاً واحداً يدل على أنك "أبو زيد الهلالي" من فضلك؟ إنك تثبت لي أنك "جحا" مع كل كلمة تنطقها
"آرتميس" وهي تنظر للمفكّرة أمامها على المكتب: تطفو الكثير والكثير من الأسئلة.. ولكنني أظنّ أنها كالعقد الذي سينفطر فجأة..

"أبو زيد": "إدفن"! لم نسمع صوتك للآن.. ما رأيك؟

عم "زمباع": قبل.. وكانت مرتبكة وخائفة لما رأته وقالت لي ألا
أخبر أحدا أنني قد رأيتها

"أبو زيد": خائفة ومرتبكة؟

عم "زمباع": في الحقيقة لا.. لقد غازلته ثم هربت..

: أفصل أن أصدق بأنها كانت مرتبكة وخائفة على أنها غازلت عم
"زمباع"

"ثينو": أنا أصدقه

نظرت لها في تعجب وكذلك "أبو زيد" في حين قال "إدفن": بدأت
أشعر بأنني على حق!!!

"أبو زيد": أي شيء آخر يا عم "زمباع" عن الفتاة؟

حك رأسه من تحت العمامة ثم قال: مؤخرتها كبيرة

"أبو زيد" في ضيق: ليس هذا ما أقصده بالطبع.. أقصد هل هناك
أية تفاصيل مريبة؟

هز رأسه بالنفي ثم نهض وهو يمسك بسيجارتته في يمينه ويضع
يده اليسرى في جيب جلبابه الفضفاض.. ولم يكذب ينصرف حتى عاد
يقول: أه.. لقد نسيت.. لقد كانت تشبه أستاذة "زهام" بالضبط..

...

قبيل عصر التالي..

كانت "زهام" تجلس أمامي في هالها الأنثوية المستفزة تطلب مني أن
تجلس إلي في حين ينتهي العمال من إنهاء التشطيبات اللازمة في بيتها..

بدأت "زهام" الحديث: أعتذر على تطفلي عليك من أن لآخر.. هذا
ضد طبيعتي في الواقع..

: لا عليك.. ولكنني.. أ.. لا أعرف عنك شيئاً حتى الآن إذا سمحت لي
قالت في أسي: أنا وحيدة هنا كما ترى.. كانت تعيش أسرتي في
"مصر" حتى حصل والديّ على عقد عمل في أوروبا وأنجبوني هناك..
انقطعنا تماماً عن عائلتنا هنا فما عدت أعرف أحداً.. توفي والدي
بالخارج وترك لنا ثروة لا بأس بها فرأيت أن أستثمر جزءاً منها هنا في
تلك العزبة المجاورة..

: هممم.. القصة الكلاسيكية للمهاجرين من مصر إذاً

ابتسمت في سخرية: بالضبط

: هل قابلتي ذلك الضابط مجدداً؟

تغير وجهها: لم تسأل؟

: أبداً.. أفتح مجالاً للحديث لا أكثر

"رهام": طلب رقم هاتفني ولكنني لم أسمع صوته - جالت بعينيها في
البيت قليلاً - لا أر أية معدّات تصوير بعد.. أنا متشوقة لمشاهدة هذا
الفيلم بالفعل.. أتدري؟ كنت أحلم بالتمثيل منذ أن كنت صغيرة..

ظلت تتحدث عن ذكريات طفولتها بشكل طبيعي جداً.. فإما بالفعل
هي لا تتصنّع ذلك وكانت الفتاة الحمراء تلك من صنيع خيال عم
"زمباع".. أو أنها بذلك الذكاء وتلك المهارة في التصنّع..

...

دخل عم "زمباع" فجأة وهو يقول: أستاذ "عميرة" هناك مصيبة..

نهضت "رهام" وهي تعلق الحقيبة فوق كتفها: سأعود لألقي نظرة
على العمّال هناك واعتذر على ضياع وقتك..

حييتها ثم التفتّ لعم "زمباع": خيرا

نظرتي متعجباً: عمال؟ لا يوجد أحد في المنطقة كلها!
: أرجو أن ما ستخبرني به يستحق أن يمنعنا من اللحاق بها..
أخرج علبة السجائر من جيبه وهو يقول: اتبعني

...

لما وصلنا إلى مكان القبر المدفون فيه "وائل" وجدناه مفتوحاً..
فارغاً..

وهناك آثار أقدام تتجه للخارج..

...

جنّ الليل..

وبرزت النجوم تحدّق خلسة من خلفه..

وقد نام كل من لا يملك قوى سحرية وكل من لا يجلس بين
أشخاص ظهروا من العدم..

..

تنحنح عم "زمباع" ثم قال: هل لي بسؤال؟

: تفضّل، ولكن اعلم بأنني لست في مزاج رائق للمزاح

قال: هل سينتهي الفيلم بحرق الكتاب واختفاء الوحوش -معدرة
أنا في سنّ والدكم جميعاً- لأنني شاهدت تلك النهاية في أفلام كثيرة من
قبل..

"أبو زيد": لقد بدأ يروق لي تفكير ذلك الرجل..

ابتسم عم "زمباع" في فخر قائلاً: اصنعوا نهاية جديدة حتى تهروا
المشاهدين

"أبو زيد": نحرق الورق؟ لماذا لم نجرب هذا؟
"أرتميس": لو كانت علاقة الأشخاص بالأوراق حقيقية لاحترقوا معها إذا!!!

"إدفن": ولو كانت العلاقة عكسيّة لأصبحوا من الخالدين
"بوليفيموس": إذا كنتم ستجربون هذا فأنا متبرّع
نظر "إدفن" إلى "بوليفيموس" في هدوء ثم قال: أين "ثينو"؟
"أرتميس": لقد اختفت منذ دخول الليل.. لا صوت لها ولا ظهور..
قلت وأنا أحكّ شعري الأشعث: تتحرك "ثينو" كالأسباح دومًا في
صمت مقبض.. أرجو ألا تصيبني بنوبة قلبية فقط.. عدا ذلك،
فلتتحرك كما تشاء..

"هنا"

قالتها "ثينو" يهدوء وهي تظهر لنا رويدًا رويدًا من الظلام..
"انظروا من وجدت"

صاح عم "زمباع": المرأة الحمراء.. هذه هي..

نهض "إدفن" في غضب: "ساكيوياس"!!!؟

"أرتميس": وليست أية "ساكيوياس".. إنها ملكتهم.. "ليليث"

...

كانت بالفعل "امرأة حمراء"!!!

هي كما وصفها عم "زمباع" بالضبط.. غير أنها لا تشبه "ريهام"
فقط! بل هي أجمل منها بكثير على الرغم من القرنين اللذين يزيّنان
رأسها..

"أبو زيد" ولم يحرك ساكناً: "ليليث" إذاً!!! لا عجب أن الضابط قُتل بذلك الشكل المهين..

نظر عم "زباع" لنا جميعاً في غير فهم ثم اقترب مني هامساً: هلاً تفهمني ماذا يقولون؟ أم أنكم بدأتم تصوير الفيلم فجأة وعلي أن أذهب..

: بالضبط.. لقد بدأ التصوير.. شكراً على هذه الملحوظة الذكية الغير معتادة.. سأستأذنك أن تخرج من البيت وأن تغلق الباب خلفك في هدوء حتى لا تفسد المشهد..

...

نظرت "ليليث" بجانب عينيها إلى "ثينو" التي تقيدها بكفّ واحدة ثم قالت في سخرية: تستطيعين أن تتركيني الآن..

نظرت "ثينو" لـ "آرتميس" فأشارت لها أن تتركها..

جالت "ليليث" بعينيها السوداويين كالليل بيننا ثم قالت: أراكم متحفّزون جميعاً.. اهدؤوا، فأنا أعرف أنه من الغباء أن أحاول الهرب أمام أحدكم.. فما الحال وأنتم مجتمعون..

قلت في ضيق: لماذا قتلت الضابط؟

عقصت شعرها بكلتا يديها للخلف في دلال وقالت لهم: ألا يعرفني هذا الشخص؟

"آرتميس" دون أن تحيد النظر عنها: طبيعتها..

"أبو زيد": معذرة يا "ليليث" ولكننا سنستضيفك قليلاً هنا - ثم نظرتي- ألم تكن تريد أن ترى شيئاً يثبت لك أنني "الهلاكي"؟

لا أدري كيف أصف ذلك.. ولكنّه قفز وانترع بيد واحدة ثريًا
حديدية من السقف احتاج تثبيتها في السقف لعدد مهول من المسامير
ثم طحنها بيديه مشكلاً قفصاً حديدياً ألقتها فيه "آرتميس" ثم أغلقه
بذات الطريقة فصار كالعلبة لا باب له.. ثم دفن نصفه في الحائط كي
لا يتحرك.. وأنا أنظر له كالأبله غير مصدق ما يحدث أمامي..

نظرت لي "آرتميس" في سخرية: "جحا"!!!

قالت "تينو" لـ "ليليث": أراك لا تقاومين

"ليليث": لا حاجة لي.. فأنا لست بهذا الغباء كما ذكرت سلفاً..

دار "أبو زيد" برقبته يميناً وشمالاً ثم قال: لحظة! إن وجودها هنا
لهو مكيدة مدبرة لنا جميعاً..

ضحكت "ليليث" من قلبها..

هذا إن كان لها قلب..

...

"طبول الحرب"

"أبوزيد": من المفترض أن "جلجامش" يحب "ليليث" وأنه ينقذها في القصة المعروفة عنه..

"أرتيميس": إذًا مرحبًا به في أي وقت..

نظر "إدفن" إلى "بوليفيموس": سنضطر لتأجيل حرق الأوراق إذا لم تكن على عجل..

قلت وأنا أهمّ بالجلوس: قتلت "ليليث" الضابط لأن طبيعتها كأنتى شيطان هي أن تغوي الرجال وتقبض أرواحهم.. قواي غير معروفة بعد ولكنني على الأقل قد فهمت مصدرها.. نحن الآن ننتظر قدوم "جلجامش" ليحاول أن ينقذ هذه الحمراء العارية.. تبقى لنا الجثة المختفية، كيف أعيدكم وتعود حياتي إلى طبيعتها السابقة..

جلست "ليليث" متربعة في قفصها الحديديّ ثم قالت: كلامكم صحيح، غير أنّ "جلجامش" لن يأتي طالبًا القتال..

التفتنا جميعًا لها في ذهول ثم قالت "أرتيميس": هذا مستحيل.. لن نخدعينا هذه الكلمات..

عقدت ذراعها الحمراء وان وأغلقت جناحها: أنتم لا تعرفون قدر ما أعرف هنا..

"ثينو": هات ما عندك..

"ليليث": عدوني بعدم الأذى أولاً

"أرتيميس": لك هذا

تهدت "ليليث" ثم قالت: بدأ الأمر من ذات المكتبة بالأعلى.. والتي
أظنكم جميعًا تعرفونها جيدًا.. كان أول ظهور لنا منذ أكثر من ثلاثين
عامًا..

تلقّنا جميعًا ننظر لبعضنا في غير فهم.. فوقفنا وهي تعقد ذراعها
مجددًا: كان أخوك في نفس المكان عندما ظهرت.. يملك ذات القدرة
على تحرير الأشخاص بمسحة من أصبعه.. فما أن رأني حتى اتسعت
عيناه من الرعب وقفز فوق كرسيه.. كنت مرتبكة ولا أدري ماذا أفعل!
ركضت خارجة من البيت بين الزروع الطويلة والأشجار حتى اختفيت
عن ناظره.. ولكنها طبيعتي كما تعلم.. ظهرت مجددًا في صورة امرأة
ترغب في أن تشتري البيت والعزبة المجاورة.. أغريته وقبضت روحه ثم
تواريت لما سمعت صوتًا يناديه من بعيد.. ولما اقترب جدك ووجد
حفيده في هذا الوضع، اتفق مع الحارس السابق لعم "زمباع" أن
يدفناه كما هو خوفًا من الفضيحة وأن يذيعا أنه قتل في حادث سيارة
أليم.. فعشت داخل الحديقة لسنوات بعيدًا عن الأنظار.. حتى دمدمها
الخارجون من هنا..

انصرفت بناظري عنها وأنا أقول: أنت إذا من قتله! وأنت أول من
خرج من هنا منذ ثلاثين عامًا!

"ليليث": بالضبط

"أبوزيد": لعلك تعرفين الطفلة إذًا!!!

"تينو": هل هذه الطفلة هي "طنطل"؟

هزّت "ليليث" رأسها بالنفي ثم قالت: هي ألعن من "طنطل".. إنها
"سعلوة"..

...

التفت لها مجدداً: أليس هذا حيوان؟

"ليليث": لا.. هي "ساكيوباس" مثلي تمامًا ولكنها مشوهة ومنقرّة لذلك تتخذ أشكالاً عدّة أكثر ممّي..

"إدفن": إذاً، أنت تخفين جزءًا من جمالك بالتشبه بالبشر وهي تخفي قبحها بنفس الطريقة!

"ليليث": صحيح.. وهي تملك قدرات خارقة أخرى ومقززة، تأكل لحم البشر.. وللعلم! أنا لا أحبها.. هي حقودة وسوداء من الداخل..

"أبو زيد": معنى هذا أن هناك "طنطل" و"سعلوة" طليقان بالخارج؟

أرسلت لي "ليليث" قبلة في الهواء: والفضل لهذا الوسيم

نظرت لها في ضيق: أسمحين بالكفّ عن التمايل ومحاوله إغراء الرجال هنا؟ نحن بصدد مصيبة أكبر منّا جميعاً مجتمعين.. "طنطل" و"سعلوة"!!!

"ليليث": إحم.. هي زوجته إذا أردت الدقّة في المعلومات..

: شكراً لك.. أية إضافات؟

(طق طق طق)

فتح "أبو زيد" الباب فنظر مطوّلاً ثم عاد يقول: ناد على عم "زمباع" ليمثّل هذا المشهد..

نظرت له في غير فهم: أي مشهد؟ ادخل يا عم "زمباع"

وجدته يرتدي خوذة ضخمة، يمسك حربّة بكلتا يديه وهو يقول بصوت خفيض: اسمح لي أن أظهر في هذا المشهد.. عندي جملة رائعة هنا..

قلت له في نفاذ صبر: تفضل.. قلها..

خرج ثم دخل مجددًا وهو يصيح: فليتفضل ملك الروم!

"أبو زيد": الروم؟ ملك الروم؟

دخل رجل بالفعل.. ضخم الجثة، أجعد الشعر واللحية.. طويل القامة بشكل مهيب ويرتدي درعًا ذهبية..

مشى نحوي في خطوات بطيئة ثم قال لي بنبرة هادئة من صوت يصدر من بئر بعيد في حلقه: لولا أنني جئت في سلام، لدككت مبناك فوق رأسك قبل رجالك..

مددت يدي مصافحاً: "عميرة"..

اعتدل ناظرًا لها ثم لي: لن أغفر لك سلبك سلاحي وخوذتي قبل الدخول إليك..

قلت مرتبكاً: م.. من أخبرك أن تفعل هذا؟

قال: خادمك..

وأشار بأصبعه الغليظ إلى الشخص الوحيد المبتسم والذي يملؤه الفخر بيننا..

عم "زمباع"..

...

"أبو زيد": انتهى المشهد يا عم "زمباع".. أحسنت.. أعطه الخوذة والرمح قبل أن يطهيك فيها ويأكلك برمحه..

قال بوجه متعجبم: "جلجامش" ملك "أوروك" وسليل الآلهة..

نظرت لـ "أبو زيد" فقال: لن أضرب كفاً بكف فالأمر زاد عن حدّه كثيراً وتخطى تلك المرحلة منذ فترة..

قالت "أرتميس" في هدوء: لا أظنك تميّزني أو "بوليفيموس"؟

لم يتحرك في وجهه الصخريّ هذا سوى مقلتا عينيه ثم قال:
بالطبع لا.. من أنتما..

خرج عم "زمباع" حياً، سعيداً لأنه سيظهر في التلفاز بعد أن كاد يقيم مجزرة لا بأس بها هنا.. فدعوته للجلوس والحديث برويّة وأن أقصّ عليه الأمر من البداية فرفض أن يستمع إلى كلمة واحدة إلا بعدما تخرج "ليليث".. وبالفعل، نزع الحديد بذات السهولة التي كونه بها "أبو زيد".. بين نظراتي الذاهلة وإحساسي بأنني يجب أن أعود إلى التمرين حتماً بعدما ينتهي هذا السيرك المنصوب..

...

وأعدنا سرد الأحداث مجدداً..

منذ البداية..

وحتى تلك اللحظة..

...

كان يستمع وكأن على رأسه الطير.. لم يتحرك أو تبدّل نظرتة..

فقط، نظر لـ "أرتميس" قائلاً: من هاجمك هو "طنطل" ومن هاجم "بوليفيموس" هي "سعلوة" أو العكس إذاً.. أنا لست سعيداً كوني بعيد عن مملكتي وشعبي.. سأساعد في البحث عن مخرج لهذا الأمر..

تهدت في أمل: عظيم، الآن نبحث عن الصينيين واليابانيين و"خارون"!

"جلجامش": أعرف مكانهم جميعاً عدا "خارون" ..

"أبو زيد": عظيم، وأين هم إذا؟

"جلجامش": في العزبة المجاورة التي كانت تدعى "ليليث" دوماً أنه

بيتها

قالت "ليليث" في مرح: لم أكذب

"أرتيميس": لم يبق سوى "خارون"

قالت "ليليث": لن نجده لأنه ذهب مع "وائل"

سألته متعجباً: "وائل"؟ أ.. أخي؟ ألم تقولي بأنك قتلتيه منذ قليل؟

"بوليفيموس": لقد أخرجت جثته بيدي

"ليليث": ألم تدرك معنى اسم أخيك مثل جدك؟.. اسم أخاك هو

"وائل" وهو اسم عربي معناه..

قاطعها "أبو زيد" مصدوماً: معناه "العائد" ..

...

"جلجامش": أظنّ "طنطل" و"سعلوة" و"خارون" مع "وائل" الآن

قلت في قلق: وماذا في ذلك؟ إذا فلنبحث عن "وائل"

"ليليث": الأمر ليس بتلك السهولة

"أرتيميس": ماذا تعنين؟

"ليليث": يريد "وائل" أن يقطع رقبة هذا الوسيم لأنه الأخير.. ويريد

"وائل" أن تستمرّ السلالة من بعده..

قلت بانفعال: يقتلني؟ يقتلني حتى تستمر السلالة؟ هو عائد من

الموت ليقتلني؟

"ليليث": بل ويريد أن يدعمها بـ "طنطل" و"سعلوة" لأنهما قوتان لا يستهان بهما..

"جلجامش": يرى "وائل" أنه على حقّ إذًا لأنك ملعون في نظره وهو بعث من جديد لسبب ما..

"أبو زيد": هذا أسوأ ما في الأمر.. أنه يظنّ بآته على حق..

"إدفن": لو كان يطلب حرباً، فله ما شاء..

"أبو زيد": لا تستهن بـ "طنطل" و"سعلوة".. إنهما يستطيعان أن يتشكّلا في صورة جيوش من الجنّ تحاربنا ونحن لا نراهم..

"ليليث": حينها سأحارب وحدي لأنني الوحيدة القادرة على الاختفاء على حد علمي..

: كلما ظننت بأن الأمور اتضحت.. أجدها تتضح عن كوارث لا قبل لي بها..

"أبو زيد": لحظة! لماذا كانت "سعلوة" تظهر لنا في صورة الطفلة؟

"ليليث": معروف عن "طنطل" و"سعلوة" أنهما يتلاعبان بضحاياهما بتلك الطريقة.. حتى أنهما كادا يشعلان قتالاً لا أصل له بينكم وبين "جلجامش"..

"آرتميس": ولم؟

"ليليث": لا يحبان دوماً خوض نزالاتهما بنفسهما.. هم يدفعان العالم لينهي على بعضه بعضاً..

"تينو": لماذا حضرتما بتلك التمثيلية المزرية؟

"جلجامش": أظهرنا لهم أننا بالفعل بدأنا المناوشات.. نحن وأنتم..

"آرتميس": وما يضمن لنا أنهما غير موجودين بينما ونحن لا نراهما؟

"ليليث": أنا قادرة على كشفهما..

"تينو": وما يدرينا أنكما لا تتلاعبان بنا؟

"جلجامش": لا أظنّ ملامحي هي ملامح شخص يتلاعب بأحد..

"تينو": لماذا لم تحضر الصينيين واليابانيين إذًا؟

"جلجامش": لأنهم قادمون بعد دقائق لبدء المعركة معكم..

"ليليث": هذا صحيح، فهم الصفّ الأول لـ "وائل" في المعركة

...

"أبو زيد": لم نعرف ما كانت قصة الأطفال تلك حتى الآن

"ليليث": أنا واثقة أنه "طنطل"

"آرتميس": ولم قد يفعل هذا؟

"ليليث": حتى يلهكم.. وقد نجح بالفعل

"إدفن": يلهنا؟

"ليليث": هناك أماكن خالية في يسار المكتبة.. أفترض بأنها كانت

ممتلئة بالكتب أيضًا!

"أبو زيد": لم يلحظ أحدنا ذلك إذا كان ما تقولينه صحيحاً

درت بعيني بينهم ثم انطلقت إلى المكتبة تاركًا إياهم ينظرون لي.. ثم

تبعني "آرتميس" ومن بعدها "أبو زيد"..

"آرتميس": وكيف نعرف الآن صحة الحديث من عدمه؟ جميع

الكتب الآن رأسًا على عقب

"أبو زيد": لا يسعنا إلا أن نصنّف الكتب تبعًا للتخصص ولنحكم بعدها على صعوبة الموقف من استحالته

: صعوبة واستحالة؟ لا سهولة؟

تهدّ "أبو زيد" وهو ينحني ليلتقط أول كتاب: ونحن على أعتاب معركة ما مثلما قال "جلجامش"؟ لا أظنّ

"آرتميس": أظننا نحتاج كل يد بالأسفل لتساعدنا مع هذا الكمّ

"أبو زيد": ليس الجميع.. نحتاج لأن يبقى البعض هناك في حال أتى أحد ما

عندما وقف "أبو زيد" أعلى الدرج يخبرهم بأننا نحتاج يد العون لتصنيف الكتب، نهره "إدفن" قائلًا إن هذا ليس وقته أبدًا في حين قالت "ليليث": لا حاجة للبحث.. جميع الكتب الناقصة هي من الجانب الآسيوي.. "اليابان" لو لم أكن مخطئة.. -ثم رفعت خصلة من فوق عينها- والولايات المتّحدة..

تنهت للكلمة: الولايات المتّحدة؟ هل هناك ميثولوجيا في الولايات المتّحدة؟

نهضت خارجًا من غرفة المكتبة أنظر لهم من الأعلى: أظننا نملك فكرة ما عمّا سنواجهه

...

جلسوا متحلّقين حولي كالطلبة المهذّبين.. عدا تلك المغازلة الحمراء التي ترسل القبلات في الهواء وتضحك بين الفينة والفينة..

قلت: لو كانت هناك ميثولوجيا من الولايات المتّحدة فهي في الغالب لن تتخطى بحال حيوانات الغاب أو أشباح خزانات الملابس..

"جلجامش": هل أنت واثق مما تقول أيها الشاب؟

رفعت نظارتني التي تنزلق دوماً: لا.. ولكن هذه هي المعلومات العامة التي نملكها هي في "مصر".. أن الولايات المتحدة لا تملك فلكوراً أو تاريخاً طويلاً مليء بالمرعبين والآلهة..

"إدفن": وماذا عن الآسيوية؟

تهدت في يأس: تخيلوا أسوأ كوابيسكم وأطلقوا لخيالكم العنان..

...

سمعنا جلبة بالخارج فقال "أبو زيد": لو كانت هذه هي البداية فلينظر أحدكم إلى نده الذي يستطيع قتاله.. فلا أستطيع أنا أو "جلجامش" أن نضع خطة محكمة لأننا نجعل قدراتكم المطلقة ونجمل ما قد نواجهه..

طرق الباب..

نهض "أبو زيد" وهو يقول: هل يستأذن الآسيويون عادة قبل القتال؟

فتح الباب فإذا به عم "زمباع" يصيح: لقد جاءت سلاحف النينجا يا أستاذ "عميرة" فركضت أخبرك فور أن رأيتم يأتون من بعيد..

خلعت النظارة أنظفها وقلت في ملل: تعال يا عم "زمباع".. ادخل..

التفت عم "زمباع" إلى "ليليث": ارتدي شيئاً يسترِك يا بنيتي.. أنا في سنِّ والدك وأنصحك..

قلت في نفاذ صبر: انتبه لي قليلاً أرجوك.. ماذا رأيت

لم يعيرني انتباهه وظل يحدثها: أو ستصايين بأنفلونزا حادة.. أنت أيضاً لا تعلمين شيئاً عن الناموس هنا في هذا الوقت من العام..
قالت..

نهضت مواجهًا له في نفاذ صبر: ماذا تريد؟

نظر إلى "ثينو": وأنت أيضاً.. -ثم نظرتي- جاءت سلاحف النينجا من بعيد ولكنهم ليسوا أربعة.. إنهم كثيرون ولا أرى معهم المعلم "رشدان"..
هل أقوم أنا بهذا الدور؟ لن أتقاضى أج..

فجأة، وجدته معلقًا من قفاه في قبضة "أبو زيد" وهو يتحدث في غضب لأول مرة: تعال معي وأرني ماذا رأيت..

بمجرد أن فتحا الباب، ألقى "أبو زيد" عم "زمباع" من قبضته وقال: هل يميل أحدكم إلى قتل أطفال خضرٍ في هيئة سلاحف؟

نهض "إدفن" مطلقًا عنقه: أفسح لي المجال..

نهضنا جميعًا خلفه ونظر له وهو يركض كدبابة بشرية مستعدة لكسح المباني، لا مجرد هذه الكائنات الخضراء القصيرة..

كان الموقف عجيبيًا بحق..

هي كائنات بالفعل، أشبه بالسلاحف كما قال عم "زمباع" إلا أنهم أقصر قامة، أشبه بالإنسان، يقفزون في توحش على "إدفن" ينهشون لحمه حيًا وهو يقا تل ببراعة ويسحقهم في سرعة أعجزتني عن ملاحقة عدد ضحاياهم..

نظرت لهم جميعًا يقفون حولي: ألن يساعد أحدكم ذلك الرجل؟

"أبو زيد": نحن لا نعلم ما نواجهه.. قد يكون هذا فخًا لنا جميعاً.. ونحن كما تعلم. نريد أن يعود كل منا إلى مكانه وزمانه في هدوء لا أن نقتل هنا..

ظلّ "إدفن" يسحق رؤوسهم بقبضتيه معاً وقدميه.. والجثث تتطاير من حوله في حين أنه لم ينهك أو يملّ.. ظللت مدهوشاً من شجاعته وجرأته أن ينطلق دون تفكير في وضع كهذا دونما أن يلتقط أيّ سلاح وكأنه يلعب..
ولكنها تبدو لعبة قاسية..

...

"أبو زيد": لم قد يتخذ "طنطل" أو "سعلوة" ذلك الشكل للقتال؟ أقزام خضراء؟

وضعت "ليليث" يديها فوق خاصرتها في دلال وقالت: هذا عدد من الـ "كابا".. شخصيات من الفولكلور الياباني..

"أبو زيد": كيف تعرفين كل تلك المعلومات؟

"ليليث": أنا أول مخلوق أسطوري كما وصفيني تلك الكتب بالأعلى..

قلت: أليس من الأفضل أن يساعده أحدكم؟ الوضع لا يبشّر بخير هناك.. إنهم كثروا وينهشون لحمه..

"جلجامش": لا يزال يقاتل جيداً

"تينو": من للقادم هناك؟

نظرنا جميعاً فإذا بعملاق يتخطى طوله الستة أمتار يسير ببطء نحونا..

يكشف جذعه العار عن آدمي تبرز عظامه من تحت جلده وتبرز في شكل قرون فوق رأسه في حين يمثل نصفه السفلي نصف حيوان ما..
تقدّم "بوليفيموس" بخطى بطيئة قائلاً: العملاق للعملاق.. عادل كفاية..

ثم ركض يحفر الأرض بقدميه حتى انقضّ قافزاً على رقبته فسقطا سوياً وسط كومة من التراب غطّت الـ "كابا" و"إدفن"..
ظلتت أسعل وأنا أقول: وهذا؟ ما هذا؟ لا يبدو يابانياً في رأيي
"ليليث": "كي-واكو"

قلت وأنا أحاول أن أمنع المزيد من الغبار من الدخول في فمي: يبدو الآن يابانياً
"ليليث": ليس يابانياً

قلت وأنا ما زلت أسعل: هلا تخبريني من فضلك ما هذا؟ أنا لن أتزوّجه

"ليليث": هو أحد شخصيات فولكلور الولايات المتحدة
نظرتي "أبوزيد": حيوانات غابة ما أو أشباح في خزانة ملابس؟ لقد جاءت الغابة بنفسها في هيئة عملاق..
"تينو": نحن لا نرى شيئاً مما يحدث هناك.. لقد غطّى الغبار كل شيء..

"جلجامش": هناك شيء ضخم قادم..

تلفتت حولي: أين؟

أشارت "تينو" بيدها: هناك

كانت رأس حيوان زاحف تظهر خلف الغبار من بعيد بين السيلويت العنيف لمعركة "إدفن" التي لا تنتهي وبين صباح "بوليفيموس" و"كي-واكو"..

ثم بدأت تطلّ رأس تيّين بشع من أعلى الغبار..

رفعت "ثينو" رأسها قائلة: الشخصيات التي يرسلها "وائل" مقصودة أن تكون من نفس جنسنا ولكنها أضخم..

عقدت "ليليث" ذراعها: "ياماتا-نو-أوروشي"؟ -ثم نظرت لي- لو يقصد تدمير المدينة، ما أرسل هذا..

قلت في توتر بالغ وأنا أمسح التراب من لساني: لماذا؟ ما هذا السوشي؟

"ليليث": تيّين ذو ثمانية رؤوس وثمانية ذيول..

بعدما انطلقت "ثينو" بثانية واحدة، نزع "جلجامش" سيفه قائلاً: لن تنجو وحدها من هذا الشيء..

ثم ركض جنباً إلى جنب مع "ثينو"..

...

"أبو زيد": أظنّ دوري قد حان؟

قلت في قلق: دورك؟

"أبو زيد": "إدفن" يتهاوى -ثم استلّ سيفه وركض فجأة- سألحق

به

نظرت حولي فلم أجد سوى "آرتميس" و"ليليث"..

...

الغبار يملأ المكان والصيحات تتعالى..

وانقسم المشهد الواحد إلى ثلاث مشاهد دموية لا أراها بذلك
القرب أبداً..

...

يحارب "إدفن" الـ"كابا" وهو على ظهره بطرف واحد هو ذراعه
اليمني في حين تملأ الساحة من حوله مئات الجثث المسحوقة..

يقتل "أبو زيد" الـ"كابا" كالناموس حوله في سرعة البرق حتى أنهم
أبطأ من أن يقضموا منه شيئاً

...

فقد التنين عدداً من رؤوسه وذيله في هذه الدقائق المعدودة
ولكنه يحكم الذليلين الباقين على "ثينو" في حين أنه يفشل في التقاط
"جلجامش" بين أنيابه..

...

لا يزال "بوليفيموس" يقبع فوق "كي-واكو" في كومة من الغبار
بتوسطها صراخ كليهما وأصوات عديدة لعظام تتحطم.

...

"ليليث": ألم يحن الوقت بعد لتعرف أيّ قوة تمتلكها؟

قلت في يأس: لا أشعر بأية قوى من أي نوع.. إن ظهري لا يزال
يؤلمني منذ أن سقطت من..

قاطعتنا "آرتميس" فائلة: صه.. هناك صيحات بعيدة تقترب..

"ليليث": دعاني أحمّن.. الساموراي السبعة والأربعون والصينيون

العشرة؟

قلت: أنا أعرف عن السبعة وأربعون سامواري.. أما الصينيون العشرة، فهذه أول مرة أسمع عنهم

"ليليث": هم عشرة إخوة، لكل منهم قوة مختلفة.. منهم حادّ الذكاء، منهم من له القدرة على الاختفاء، منهم من يستطيع أن يمدد جسمه ليصبح عملاقاً، منم من يطير، منهم يسير تحت الأرض، أحدهم ذو قوة خارقة كـ "أبو زيد"، أحدهم حادّ السمع، هناك من هو حادّ البصر، هناك من يبتلع الرياح أو أن يقتلك بصوته فقط

"أرتيميس": هؤلاء تسعة

"ليليث": أوه، نسيت.. العاشر هو أصغرهم.. يشفي بكاؤه الجرحى والمصابين.. فإذا كنا سنقاتلهم سوياً.. فابدأ أي بأصغرهم الباكي..

"أرتيميس": ها قد حضروا - ثم نظرت لي- أرجو أن تكتشف قدراتك سريعاً لأن الأمور تسوء هنا..

كنت أقف وحيداً أنظر إلى ما يدور أمامي، عاجزاً غير مصدّق ما يجري..

انتبهت إلى شخص يقف جوارى فالتفت له: عم "زمباع"؟ أين كنت؟

وضع عم "زمباع" السيجارة في فمه: هذه تأثيرات ممتازة.. تبدو حقيقية جداً

صحت فيه في غضب: أين كنت؟

ردّ في هدوء: كنت أبتاع هذه الحشيشة.. أتظنّي أحركم طوال الليل دونها؟

نظرت لأطنان الغبار في الهواء يتخللها سيلويت معارك أسطورية
تهتز لها الأرض: لبتك تبقى بحشيشتك داخل البيت حتى ينتهي الـ.. هذا
التفت له قائلاً: من أين دخلت؟ العزبة كله مليئة بالجثث والـ.. الـ..
من أين دخلت؟

عم "زمباع": من باب المطبخ الصغير في الخلف.. لما رأيت التصوير
قد بدأ من بعيد من فوق دراجتي.. لم أشأ أن أفسد التصوير بمروري..
ثم دلف إلى الداخل وأنا أنظر لما يحدث أمامي راجياً أن يخرج
الجميع من هذا الغبار بسلام..

...

تنهت إلى شيء مستدير مهوي فوق كالقذيفة من بعيد..

بالكاد قفزت جانب القذيفة ببضع خطوات..

ثم نظرت لها في صدمة كادت تقتلني..

هذه لم تكن قذيفة..

هذه..

رأس "بوليفيموس"..
...

(الملعون)

كنت أهدق في عين "بوليفيموس" التي تحدق بدورها في وجهي..
لكن دونما حياة..

...

وتدور المعارك طاحنة بالقرب من عيناى اللتان تتسعان ذهولاً..
يتطاير الغبار أمام وجهي وعيناى لا تطرفان من مشهد تلك الرأس
أمامي..

شرر المعادن ينير السماء والصراخ يقطع الصمت..

عظام تُسحق ودماء تسيل..

أشلاء تتطاير..

وأنا جالس..

فقط،

أهدق في "بوليفيموس"..

كيف قُتل بتلك السهولة؟

لقد انقضت على العملاق وأسقطه في حركة واحدة!!!

...

رفعت رأسي للظل الذي يظهر لي ببطء..

هو عملاق ثالث هنا!!!

يحمل عصا غليظة على كتفه ويسير في خيلاء..

لم أتحرك من مكاني قيد أنملة، بل ظللت أهدق في ظله الذي
يتضح لي شيئاً فشيئاً..

ولما ظهر لي اتسعت عيني أكثر فأكثر..

كيف نسينا هذا العملاق؟

لقد ظهر على حين غفلة من الجميع وحصد رأس "بوليفيموس"
مستغلاً رقوده فوق "كي-واكو"

كيف نسينا "خارون"؟

...

لما تالقت عيني مع ذلك العجوز العملاق، توقّف مكانه..

وبغير أدنى تعبير، تراجع لكومة الغبار وهو ينظر لي مبتسماً..

لم يكن يريدني إذاً؟..

إنّه يتّجه ناحية التنين ذو الثماني رؤوس!!!

اللعنة..

"جلجامش" و"ثينو"

...

نهضت من مكاني فزعاً، أحاول أن أقتحم كومة الغبار تلك بصعوبة
بالغة..

دفعني "أبو زيد" بعيداً ثم التقط الـ "كابا" القافزون علي فوجدتني
تحت أرجل شخص ياباني يرفع سيفه..

جذبتني "آرتميس" من ملابسني ودفعتني للوراء وهي تصيح: عد الآن
أيها الغبي.. ماذا تفعل؟

صحت في توتر: "خارون"، "خارون" هنا
جذبتني "ليليث" من ذراعي فهوى سيف آخر على الأرض كان
يقصدني: عد الآن يا "عميرة" سنتولى أمره

...

كنت مدهوشا، يتلقفونني في بطولة وتضحية واضحة وأنا متسع
العينين، أفكر فيما عليّ أن أفعل
كانت الـ "كابا" تطير من فوق أشلاء كقطع القماش البالية..
نظرت فوق فإذا "أبو زيد" قد وضعني خلفه وهو يمزق أحشاءهم
بيديه المجردتين..

تبأ! كيف كان حليماً على هذا الشخص عندما نعتّه بـ "جحا"؟
حق لهؤلاء الأشخاص أن يخلدّهم التاريخ ولو في صورة أساطير..

...

شرعت أنظر لأعلى وقد لطخت دماء الـ "كابا" وجهي وملابسي وأنا
أفكر في أية طريقة لمساعدتهم.. حتى اهتديت إلى أن أعود إلى المكتبة
وأخرج المزيد والمزيد من الأساطير لتقف جنباً إلى جنب ضد هذه
الكوارث التي أرسلها "وائل"..

زحفت عائداً فنادى "أبو زيد": إلى أين أنت ذاهب؟

نظرت إلى جذعه المليء بالعضلات والجروح بعد أن تقطعت
ملابسه وتحطم درعه.. ثم نظرت له وأنا أصبح: سأعود إلى البيت،
عندي فكرة

قال وهو يتزع "كابا" من رقبتة: أسرع إذاً

...

زحفت بطيئاً حتى شعرت أنني في أمان ثم نهضت وأنا أركض متعثرًا
تجاه البيت..

صاح "أبو زيد": احذر

نظرت فوق، فإذا بقذيفة تهوى تجاه البيت..

ولم تكن قذيفة للأسف..

كانت رأس "ثينو"

صحت: "أبو زيد"، سقطت "ثينو" و"بوليفيموس"

لم يسمعي "أبو زيد" بين تلك الـ"كابا" التي تنهشه وهو يسحقها..

...

التفت إلى صوت "التنين" يخور ويسقط ميتًا فوق جثة "كي-واكو"
فملاً المكان بالغبار مجدداً..

ثم، صرخة من مكان "أرتيميس" و"ليليث"..

لمن منهما تلك الصرخة وماذا حدث؟

...

لا أعرف ماذا دهاني وأنا لم أهتم سوى لـ"أبو زيد" وكأنه صديق
حميم تربّيت معه..

ظللت أصيح باسمه.. ثم أخذتني الجرأة للركض تجاهه عسى أن
أساعده بأي شكل..

كان الغبار عنيقًا يدفعني يمنا ويسرة وأنا متجّه له..

بدأ يتضح لي من خلف الغبار وتغطّيه الـ"كابا"..

ولكن فجأة، ركلتني "ليليث" فسقطت بعيداً عن رجل ياباني آخر
ولكن استقرّ سيفه في جناحها فصرخت ألماً..

نهضت أركله وأضربه، ولكنه كان أقوى ممّي فنزع سيفه من جناحها
وهوى به نحوي..

لم أشعر سوى بشيء ساخن في يدي.. ثم رأيت "ليليث" تغرس قرنها
في رقبتة وهي تسبني حتى أعود..

نظرت في يدي فإذا بذاك الرجل قد قطع أربعة أنامل من كفي
اليمنى الملعونة..

نهضت مترنحاً أضغط على يدي وأنا في حيرة من أمري.. أعود
وأحاول أن أخرج أساطير أخرى؟ أم أبقى وأحاول كما أنا لعليّ أفعل
شيئاً أو لعل قوتي تظهر فجأة..

...

اصطدمت بجسد "خارون" الضخم يقف أمامي مبتسماً وله عين
تسيل منها الدماء..

ألقي فأسه على الأرض بجواري دون أن يطرف..

نظرت رويداً إلى الفأس فوجدت نهايتها هي رأس "جلجامش"..

...

نزع "خارون" الفأس مجدداً ثم انصرف تجاه "أرتيميس" و"ليليث"
هنا..

خرج "أبو زيد" ملطخاً بالدماء ويلهث قائلاً: لقد كان "إدفن" بطلاً
بحق..

..

قلت في توتر: "خارون" عند "آرتميس" و"ليليث".. ساعدهما
نظر إلى جثة "جلجامش" جواري: ناولني سيفه..
ما أن التقط السيف حتى ركض في غضب يحصد رقاب
الساموراي ومهشم دروعهم بقبضته..

وهذا الغبار شيئاً فشيئاً حتى بدأت أتبين المكان حولي..
رأس "بوليفيموس"، رأس "ثينو"، جثة "جلجامش" و"إدفن". جثة
التنين ملقاة فوق عملاق الغاب، أكثر من ألفي جثة لـ "كابا"، جثث
الساموراي السبعة والأربعين..

يتهاوى العشرة إخوة ببطء ولكنهم يتهاوون على الأقل..
عادت "ليليث" مترنحة وظهرها يقطر دمًا أسودًا بغزارة..
وفتقد ظهرها لجناحين كبيرين..

ألقت بجسدها الأحمر جواري من الإنهاك وهي تنظر لـ "جلجامش":
قُتلت أيها اللعين؟ تبًا لك.. اعتدلت في جلستها ورفعت رأسها لي: لا
أظنك بحاجة لقدرتك بعد الآن.. لقد انتهى الأمر..

نظرت إلى يدي فوجدتني قد لففتها بقميصي وهو مليء بالدماء: ألم
أقل لك أنك غبي؟

رفعت رأسي فوجدت "أبو زيد" يحمل "آرتميس" وينيمها بجوار
"جلجامش" ثم جلس إلى جوارها يلهث: لقد كان ذلك مريعاً..

"ليليث": لم يبق سوانا

"أبو زيد": لو تركتني هذه الحمقاء أقتل "خارون" بدلاً منها ما حدث
لها ذلك

: لم أستطع عمل شيء.. بل زاد فوقه أنني أصبت

فجأة، دوى صوت عنيف في أرجاء البيت ووجدنا عم "زمباع"
يركض خارجاً وهو يصرخ: أنجدوني من هذا المجنون
ثم مرّ من بيننا ونحن ننظر للبيت يتهاوي عن بكرة أبيه..
غبار كثير وتراب علا لأمتار فوق الأرض فوقف ثلاثتنا ننظر لهذا
المشهد المهيّب..

...

عندما هدأ الغبار..

خرج من خلفه شاب وفتاتان..

كان الشاب هو "وائل"، ويبدو سعيداً إلى حدّ ما.. أما الفتاتان، فلم
أعرفهما..

اقتربوا في هدوء ثم قال "وائل": دوّمًا ما ينتصر الخير.. استسلم
لقدرك يا "عميرة".. يجب أن تحيا سلالتنا بسلام.. وإذا قاومت، فلم
تكن تلك سوى مقدمة لما أستطيع أن أفعله.. -ثم نظر للفتاتين جواره-
أقدّم لك "كابو" و"بايلي"

نظرت و"أبو زيد" إلى "ليليث" فقالت بيأس: "كابو" زعيمة السحر
الأسود.. و"بايلي" -ثم خفضت رأسها في إرهاق- إلهة البراكين..

...

"وائل": لقد أقحمت أساطير ليس لهم أي ذنب أن يُقتلوا بذلك
الشكل..

قلت في تردد: ل.. لقد كنت أريد أن أعيدهم فقط حيثما ك..

قال مقاطعاً: انظر لكمّ الدماء الذي أريق بسببك!.. كيف ستحيا
بهذه الدماء كلها في رقبتهك؟ ألا تخجل من نفسك؟ جعلت "أبو زيد"

الهلامي" يقاتل في صف شخص ملعون يريد أن يُنهي بأنانيته وحبّه للحياة. سلالة عريقة قويّة تستطيع بقوّتها أن تحمي الأرض ومن عليها؟ نظرت لهم خجلاً: .. ولكنني لم أقد..

"وائل": ألا تعرف مقدار قوة سلالتنا؟ ألا تعرف بأننا نستطيع أن نمنع الصراعات في الأرض إذا ما ظهر بيننا شخص يملك القوة لذلك؟ أو تعلم كيف سيكون حال الفقراء إذا ما ولد شخص له أضعاف قدرة أبيك؟.. و"آرتميس"؟ قتلت بأنانيتك هذه الإلهة المقدّسة عبثاً؟ ثم انظر إلى من يقف إلى جوارك.. "ثينو" الملعونة واخت "ميدوسا" الخاطئة؟.. "ليليث"؟ أول "ساكيوباس" خلقت؟ طريدة الجنّة وحليفة الشيطان؟ تلك المرأة الملعونة التي رفضت دور "حواء" أم البشر وانطلقت تحقق نزواتها مع "إبليس"؟.. "بوليفيموس"؟ هذا الطريد الملعون الذي تبرأ منه "زبوس" وحتى أخوه "هرقل" الذي يضرب به المثل في الشجاعة والقوة والإقدام قد تبرأ منه لأنه يأكل البشر، يأكل بني جنسك أيها الأبله.. "جلجامش"؟ أتمزح؟ حاكم "يوروك" الظالم؟ عدو الآلهة؟..

نظرت حولي في أسي لا أدرا ما أقول..

نهضت ودرت برأسي في الأرض الممتلئة بالجنث والمخضّبة بالدماء..

قلت في تردد: .. ماذا تريد أن تفعل الآن؟

"وائل": تتوقف حياة أحدنا على موت الآخر..

: تقصد كالإعدام؟

"وائل": وسيكون رحيماً

...

نهض "أبو زيد" متجهاً إلى "وائل" .. وقف أمامه ثم قال: ولماذا لا تكون أنت مصدر الأناثية وحفاظك على السلالة هو حجة تريد أن تعود بها إلى متع الحياة؟

"ليليث": لتعلم أنه لم يختر أحدنا حتى يقف في صفه.. بل نحن من وقفنا في صفه من البداية..

"وائل": أراكما تحاولان إشعال معركة قد انطفأت بالفعل وصارت رماداً.. ألسنت تقف في جانب الخير دوماً يا "أبو زيد"؟ ماذا حدث لك؟

نظر له "أبو زيد" في غضب لمعت له عيناه: لي عقل أحكمه أهما الأبله

ترجرت فجأة كومة من التراب جوارنا وبدأت تبرز شخصاً من تحتها..

نظرنا جميعاً إلى تلك الكومة فإذا بها تتشكل على هيئة شخص نعرف..

إنه جدنا..

"زيناس" ..

اقترب ببطء منّا جميعاً ورفع عيناه فينا قائلاً: كان "هوميروس" محقاً بشأن قوة اللعنة في يمين نسله.. لقد لعن "الكايبرا" كل من لمسه.. سيحارب الخير إلى صف الشرّ رغماً عنه ظناً منه أنه الخير وسيدافع "الكايبرا" عن نفسه ظناً نفسه أنه الحق.. لقد اختلّ الميزان كما أخبرني "هوميروس" ..

"وائل": ولكن، كيف جئت إلى هنا يا جدي

"زيناس": لم أصبر على رؤية قدرة "الكاميرا".. ولم يسمح لي القدر بأن أتوقّف سوى هنا.. فالتنقل بالزمن ليس مطلقاً.. هو خاضع للقدر كحياتنا وحاضرنا.. احذريا"وائل" ولا تستهن به..

ثم اختفى..

نظر لي "وائل": الآن فهمت لم يقف "أبو زيد" في صقك.. لقد أخرجت "أبو زيد" ملعوناً مثلك من بين الصفحات، لا "أبو زيد" الذي يرى الحقّ كما هو.. سحقاً لك..

"أبو زيد": لا يعنيني حرفاً مما قلت.. سأدافع عن هذا الشخص حتى أهلك أو تهلك أنت.. ولو كنت أنا ملعوناً فسأصّب لعناتي كلها على رأسك بعد لحظات..

"وائل": كما تشاء.. ولكن، لم تقل أنني لم أندرك..

فور أن تحركت "كابو"، انقضّ عليها "أبو زيد" وحلق بها مسافة تبعد عن الخمسين متراً من مكانها في حين ضربت "بايلي" الأرض بكفها فبدأت تفجّر البراكين كالألغام تحت أرجلنا ونحن نركض أنا و"ليليث".. كنا نقفز من فوق الجثث التي تنفجر من تحتها ألغام الحمم فتذيقها وننجو بالكاد بحياتنا..

..

سقطت "ليليث" على وجهها عندما انفجرت الأرض بالقرب منها وسقط جوارها بدوري غارقاً في دمائي..

كنت أنظر لها في شفقة ثم اعتذرت لها وأغمضت عيني استعداداً للضربة التالية..

ولكنها لم تأت..

فتحت عيناى فإذا دمائى تخالط دماء "ليليث" وتغلى فوق الأرض..
وتسقط الحمم فوقنا كالماء البارد لا تضرتنا..

نظرت لى "ليليث" فاتحة عيناها فى اندهاش ثم قالت: ضع قبضتك
المدماة فى ظهرى المجروح إذاً

وما أن وضعت يمينى على ظهرها، إذا بها تلتوى وتصرخ وتتفكك
عظامها حتى صارت فى ثوان معدودة وحش ضخم بارتفاع أربعة أمتار
وطول أكثر من ثمانية أمتار غاضب تنفث أحد رؤوسه النارى فى حين يزأر
أخر ويخور الثالث..

لقد حولت يدى الملعونة تلك الشيطانة الحمراء إلى "كايميرا" حية..
وأنا على ظهرها..

...

فرزعت "بايلى" وظلّت تباعد وهى تطلق سيلاً من الحمم الغير
مجدية على الإطلاق..

كانت "كايميرا" تقرب فى غضب ولم تبد أية هجوم بعد..

ركض "وائل" إلى حطام البيت يفتش عن أى كتاب ينقذه.. فتهلل
وجهه لما رأى الطفلة تقف فوق البيت..

كانت قدما "كايميرا" تغوص فى الحمم فى حين أنها تقرب من
الطفلة فى غضب هى الأخرى..

ثم التقطت رقبة الكبش "بايلى" بين أسنانها وشرعت تمضغها فى
وحشية بينما يزأر الأسد فى وجه الطفلة التى لا تحرك ساكناً..

صاح "أبو زيد": هنا

كانت "كابو" تبارز "أبو زيد" بفرسان مدرعين عمالقة وهو يقاثلهم
بيديه المجردتين وليس في جسده موضعاً إلا وفيه جرحاً بالغاً..

اشتعلت رأس التين غضباً ثم انطلقت تحرق الفرسان وتطارد
"كابو" حتى التقطتها بين أنيابها..

تحولت الطفلة إلى امرأة مشوهة وظهر بجانبها كائن أشبه بالإنسان
الخشبي ولكنه كئيب المنظر، نحيف البنية..

هما "سعلوة" و"طنطل" إذًا!

...

تحولت "سعلوة" إلى "بيجاسوس" - الحصان المقدس في
الميثولوجيا اليونانية - بينما تحول "طنطل" إلى "بيليروفون" -قاتل
ال"كايмира" الشهير وقاهر الوحوش..

لم يكن ذلك وقتاً للتراجع أو للتفكير..

قد يظهر "طنطل" ك "بيليروفون" وقد تظهر "سعلوة" ك
"بيجاسوس" ولكنني من يمتلك قوى "كايмира" تتمثل في ابنة الجحيم
الحمراء تلك..

أمطرنا الفارس بسهامه وحرابه حتى أسقطني من فوقها ولكنها
ظلت تقاتل بشراسة وعنف أسقطت بهما "بيليروفون" و"بيجاسوس"
أرضاً..

كان من العجيب أن يتراجع "طنطل" و"سعلوة" بتلك السرعة وأن
يتحولا إلى صورتهم الأصلية..

نظر لهما "وائل" في غضب: ماذا حدث؟ اقتلا هذا الشيء اللعين

رفع "طنطل" رأسه في ضيق: لسنا ندًا لذلك..

ثم اختفيا تاركان "وائل" وحيداً يتلقت حوله في رعب..
في حين تقترب "كايميرا" منه بالثلاثة رؤوس في غضب واضح..
نظرت له قائلاً: إذا كان موت أحدنا يتوقف على حياة الآخر..
فلتنته السلالة إذا..
مالت رأس الأسد إليه في هدوء ثم التقطته في غلٍ لم يبق منه
شيئاً..
...

(سكون)

رأيت الشمس تشرق من خلف الأبخرة التي خلفتها الحمم..

لقد انصهرت جميع الجثث فشكرًا "بايلي" ..

حتى أن جثة "أبوزيد" قد انصهرت قبل أن أودعه..

وكأنه قصد أن يختفي دون أن يترك لي فرصة أن أراه للمرة الأخيرة..

وكأنني بالشمس تسألني عن الذين تركتهم معي بالأمس، أين ذهبوا؟

...

جلست "ليليث" إلى جوارني في صمت وهي تلتحف بملاءة "أرتيميس"

وتحدق في الشروق هي الأخرى..

قلت لها وأنا لا أنفك أنظر للنهار الوليد أمامي: كنت مهتم أن

أسألك عن أصل لعنتك ولكن، أتعلمين؟ لا بهم..

"ليليث": لن تفيد معرفة لعنتي في شيء.. ذكرني التاريخ بأني زوجة

"آدم" الأولى التي تركته وانصرفت للشيطان.. ثم ذكرني بأني مجرد

"ساكيوباس" .. ثم بومة نائحة.. ثم شيطانة تحمل الألم والمرض.. ثم

ملكة مصاصي الدماء..

قاطعنها: ملكة مصاصي الدماء؟ ألم تكن "أركالا"؟

"ليليث": ذكر التاريخ الكثيرات بعدي

: كيف حدث ذلك؟ كيف تحوّلت أنت إلى "كايميرا"؟

"ليليث": لقد تحوّلت إلى ذلك المخلوق عندما اختلطت دماؤنا سوياً.. هل تدرك أن بعضاً من دمائك كانت كفيّلة بصنع ذلك الوحش؟

نظرت على ظهرها: ولقد برأت جراحك كذلك!!!

"ليليث": شعرت حينها بقوة غير عادية تتخللني.. أتعلم؟ إن أغلب ظنّي هو أن قوتك هي صنع الـ "كايبرا" من دماء الشيطان.. لأنني موقنة بأنه لن يتحمّل كائن ذو بنية محدودة كل هذه القوة..

: إذاً، لقد كان الأمر حقيقي إذا.. أنا من سلالة "هوميروس" وأخرها على ما أظنّ..

"ليليث": لقد برأ جرحك كذلك..

نظرت إلى كفّ يدي ذي الأصابع المبتورة: نعم، ولكن ينقصه بعض الأصابع..

"ليليث": كانت خطة ذكية من "وائل" أن يرسل لنا من نقاتله في حين يرسل "خارون" يحصد رؤوسنا فقط من خلفنا..

: كنت أتمنّى أن أنقذ الجميع ولكنني عجزت عن ذلك..

"ليليث": هوّن عليك.. لقد انتهى الأمر..

...

رفعت رأسي فإذا بـ"عم زمباع" يقف ذاهلاً ولا تبرح عيناه البيت: ستقتلني الحاجة حتماً..

قلت في هدوء: لا تقلق! لم يكن خطوك.. لقد سقطت بعض المؤثرات على أماكن حساسة في البيت فسقط..

عم "زمباع": هل انتهى التصوير؟

: تصوير؟ هل أنت مصمم أن ذلك كان فيلماً نسجله؟

عم "زمباع": طبعاً.. وهل تريد أن تقنعني أن كل ذلك كان حقيقياً؟
إذا أين الجثث التي كانت موجودة بالأمس؟

: لقد كان حقيقياً يا عم "زمباع"

عم "زمباع": أشم رائحة غدر وأنك لن تعطيني أجراً عن المشهد
الذي مثلته..

أشرت له بيميني قاصداً: أين ذهبت بعد أن ركضت؟

عم "زمباع": ابتعدت بالدراجة إلى المقهى الذي نشرب فيه
الحشيشة جميعاً

: ذلك المقهى على بعد كيلومترين من هنا ولا شيء بيننا.. ألم
تسمعوا صوت صراخ أو انفجار؟

عم "زمباع": طبعاً، لقد أخبرتهم أنك تمثل فيلماً وستظهر فيه
بشخصيتين.. الطيب والشرير.. بينما سأظهر أنا كخادمك المخلص
المضحى الأُميد.

قاطعته: شخصيتين؟

عم "زمباع": لقد أفزعنتي حقاً عندما تقمّصت دور "وائل" ثم
ركضت من أمامك ووجدت في وجهي.. -ثم حكّ عمامته- كيف فعلت
ذلك؟

: أخبرتك أنه حقيقي

ابتسم في خبث: لن تضحك علي هذه المرة أيضاً.. هذه تقنية
الأستاذ "محمود عبدالعزيز" في فيلم "إعدام ميّت".. لقد أعجبتني
كثيراً.. أخبرني، كيف قمت بها..

أشرت له بيميني ذات الأصابع المقطوعة مجدداً: لقد كان الأمر
حقيقياً

نظر إلى "ليليث" الصامته: يريد أن يضحك عليّ وأن يظهرني غيبياً
أمامك.. قد أبدو بسيطاً يا أستاذة "زهام" ولكنني أوكد لك بأنني مطلع
وأعرف جيداً هذه الأمور.. إنني أشاهد كواليس الأفلام كثيراً..

رفعت "ليليث" رأسها له في إرهاق واضح: ألسنت تنصحنى دوماً أن
أرتدي شيئاً؟ وها أنا ألتحف بملاءة "آرتميس" حتى تحضر لي ثوباً
أرتديه..

نظرتي عم "زمباع": متى سيداع الفيلم؟

: بعد شهر من الآن.. وسأضع اسمك على إعلان الفيلم بجانب
الأبطال..

قال في فخر: سأنتظره في شوق من الآن.. أ.. سأذهب لأحضر
للأستاذة "زهام" شيئاً تلبسه-ثم ابتم في خبث- لا تعتقد بأنني لم ألمح
يدك اليميني.. كيف أخفيت أصابعك بهذا الشكل؟

...

حمدت الله أنني لم أضع السيارة أمام العزبة في تلك الليلة
المشئومة.. وإلا عدت أنا و"ليليث" نجلس خلف عم "زمباع" على
دراجته مثل أقساط اللبن الكبيرة..

...

: تفضلي يا "ليليث"

دخلت "ليليث" مرتدية جلباب عم "زمباع" وعمامته وهي تلف
شعرها على وجهها في هيئة شارب ولحية سخيضين لن يقتنع بهما

أطفال الحضانة.. ولكن. عودتنا في هذا الوقت المبكر جداً من اليوم
أنقذنا..

جلست على الأريكة في حين دخل عم "زرباع" إلى المطبخ ليطبخ لنا
شيئاً نأكله وبعد لنا الحمام..

جلست أمامها قائلاً: وماذا بعد؟ أنا لم أجد طريقة بعد لأعيدك بها
إلى عالمك..

"ليليث": أنا لم أكن في المدينة الفاضلة على كل حال..

: ألا تريد أن تتحدثي عن نفسك ولو قليلاً

"ليليث": يكفي أن تعرف بأنني كنت أسكن الجحيم.. انتظر! لدي
فكرة..

: أخبريني

قاطعنا عم "زرباع" عندما خرج فجأة: الطعام جاهز، سأعود إلى
العزبة الآن..

: بهذه السرعة؟ ماذا صنعت

عم "زرباع": صراحة! لم أتعب نفسي فأحضرت بعض الشطائر..
أنا في سن والد..

قاطعته في ضيق: يا عم "زرباع" أنت لست في سنّ والدي ولا
والدها ولا أي والد على وجه الأرض.. شكراً على الشطائر وتفضل
بالعودة إلى العزبة.. وإذا سمحت بإحضار عمال ليستخرجون كل شيء
يخصنا تحت ركام البيت هناك..

عم "زرباع": أتعرف أكثر ما أعجبنى من مشاهد؟

: ماذا؟

عم "زنباع": مشهد أكل الضابط.. كان حقيقياً جداً.. لقد ظننته
ميتاً بالفعل تلك الليلة.. وكدت أصدقك لما تصنعت الدهشة..

"ليليث": هلا تفصّل ذلك؟

عم "زنباع": هل نسيتم؟ المشهد الذي أكل العملاق فيه جثة
الضابط وهو يظن أن لا أحدا يراه..

نظرت إلى "ليليث" ثم له: نعم، نعم، لقد كان أحد المشاهد
الصعبة جداً.. والآن عد إلى العزبة إذا سمحت وافعل ما أخبرتك به..
ولا تخبر والدتي شيئاً حتى أخبرها أنا..

عم "زنباع": حسناً..

انصرف عم "زنباع" وأغلق الباب خلفه ثم قالت "ليليث": لقد
التهم "بوليفيموس" جثة الضابط عندما علم بخطورة ذلك عليك!

أطرقت برأسي: وكان يقول "وانل" أننا ملاعين.. لو كان الملاعين
يفعلون ذلك.. لاستحقوا الحياة رغماً عن الذين يظنون أنفسهم
ملائكة..

قلت: كنت بصدد إخباري بفكرة قفزت إلى رأسك..

"ليليث": هل تعيش هنا وحدك؟

قلت في قلق: لا! لم؟

ضحكت وهي تقول: لا أقصد شيئاً، يمكنك أن تحتفظ بي في
غرفتك دون أن يدري أحد حتى نجد حلاً ما أعود من خلاله..

: وكيف ذلك؟

"ليليث": أنا أختفي، ولو لم يكن ذلك مريحاً لك، سأنكمش حتى
أصبح كالدمية الصغيرة..

أعجبتني الفكرة كثيراً.. على أن تصبح بشكلٍ مؤقتٍ على الأقل..

...

بعد حمامٍ دافئٍ لم أنعم به منذ فترةٍ ورائحة البخور التي تملأ المكان من حولي.. رحلت أجلس في غرفتي أدون ما حدث بالحرف الواحد لعلّي أجد فيه مخرجاً عند مراجعته وحتى لا أنسى تفاصيل ما حدث.. في حين تلعب "ليليث" فوق المكتب بالمحاة والقلم الرصاص في سعادةٍ بالغة.. خصوصاً، بعدما ابتعت لها ملابس الدمى عبر الإنترنت من دولةٍ أخرى.. فأعجبتها كثيراً.. وأعجبتني الفكرة فابتعت لها بيت الدمى الصغير بمشتملاته من ملابس وإكسسوارات ونحوه.. طالما أننا سنعيش مع بعضنا فترة لا بأس بها، فيجب أن تكون مريحةً لكلينا..

...

كنت أشرب كوباً من الشاي أتذكّر به الأيام الماضية في حينين للأشخاص..

فظهر أمامي ظلانٌ ميّزتهما فور أن رأيتهما..

"طنطل" و"سعلوة"

...

نهضت من مكاني في ثقةٍ هذه المرة وفي غضبٍ شديدٍ: لو لم تغربا عن وجهي الآن..

قاطع "طنطل" كلامي في هدوءٍ مقبضٍ: لم نأت هنا لتحديك

"سعلوة" بذات الهدوء المقبض: جننا نعمل تحت إمرتك

جلست في غير فهمٍ.. أعدل من وضع النظارة: تحت إمرتي؟ هل

تمزحان؟

نظرا إلى بعضهما ثم إلي في صمت..

مالت "ليليث" برأسها من خلفهما: أظنهما صادقين

: و.. ولكن.. ماذا أفعل بهما؟

"ليليث": هم يختفون ويتمددون وينكمشون مثلي ويستطيعون
استيعاب قدر هائل من القوة..

نظرت لهما ثم لهما..

"طنطل": بدلاً من أن يصبح لديك "كايميرا" واحدة

"سعلوة": استخدمنا "كايميرا" تحت إمرتك

"ليليث": ثلاث "كايميرات" أفضل من واحدة

مبدأً مجنون..

أن أعيش وتحت يدي ثلاثة وحوش يستطيع الواحد منهم أن يزيل
مدينة من فوق الأرض!!!

قلت في تردد واضح: ولكن، أين ستعيشون؟.. لا تخبروني أنكما
ستعيشان هنا..

نظرا إلى بعضهما ثم قال "طنطل": نحن كائنات ملعونة وطريدة كل
من أراد أن يشهر اسمه ويصبح بطلاً.. نحن نعيش بجوار المستنقع لا
بين بني الإنسان..

نهضت وأنا أقول: ولكن هذا سيصبح وضعاً مؤقتاً إلى أن أعرف
كيف أستطيع أن أعيدكم من حيث أتيتم..

"طنطل": لاشكلا

نظرت لهما ثم أردفت: لا تقبضا روح أحد ولا تفسدا في الأرض.. فقط عيشا في سلام حتى أقرر ماذا أفعل.. وحتى لا يلتفت أحد إلى وجودكما.. من الجميل أن الجميع أصبح يصنّفكما كخرافة غير موجودة على الإطلاق – ثم نظر لـ "ليليث" - لا تستئن نفسك، فالناس يعتقدون أنك الأخرى خرافة لا وجود لها..

"طننطل": لا مشكلة..

: حسناً، تستطيعان أن تختفيا- ثم نظرت إلى "ليليث" - وأن تنكمشي مجدداً

...

اتصل بي عم "زمباع" هاتفياً عصر ذلك اليوم يخبرني بالتالي:

عم "زمباع": لقد جاءت الشرطة تسأل عنك

: وعليكم السلام يا عم "زمباع".. لم أسمع أخبارك الجميلة تلك منذ فترة

عم "زمباع": كانوا يسألون عم حدث للبيت وإن كان هناك أية ضحايا.. فمثلاً لو كنت أنت مدفوناً تحت الأنقاض أو أنك قد تمزقت لأشلاء حتى يبحثوا عن جثتك.. فأخبرتهم أن الأمن مستتب وأن البيت كان خالياً عندما سقط على من فيه

: كان خالياً عندما سقط على من فيه؟

عم "زمباع": طبعاً.. فالبيت كان خالياً عندما سقط فوقك وأنت "رامي"

: "وائل" يا عم "زمباع".. ليس "رامي".. حسناً.. غير ذلك؟

عم "زمباع": لقد وجدوا الكثير من الكتب.. هل تحتاجها؟ لأنني أنوي أن أضعها في المدفأة لأن البرودة هنا قارصة بالليل..

: لا تأخذ الأوراق يا عم "زمباع" ولمعلوماتك فقط، نحن في فصل الصيف.. أية أخبار أخرى؟

عم "زمباع": نعم، لقد وجد العمال المرأة المجنونة التي ترتدي الأبيض وتجلس خلف أنقاض البيت تبكي طفلها اللذين أغرقتهما بيديها في النهر..

استرعت انتباهي تلك المعلومة فسألته: أي امرأة هذه؟ هل هناك امرأة مجنونة في المنطقة؟

عم "زمباع": نعم، عندما سألتها عن اسمها قالت "ماريا".. هي بيضاء وشعرها منسدل وفاتنة مثل الأجانب ولكن، لا يعطي الله كل شيء يا ولدي.. لا تغضب عندما أقول يا ولدي فأنا في سنّ والدك..

: ومتى ظهرت هذه المرأة بالضبط؟

عم "زمباع": في ذات الليلة التي سقطت فوقك جميع الكتب من المكتبة..

...

قصصت على "ليليث" قصة المرأة التي وجدها عم "زمباع" فرفعت رأسها من داخل فنجان القهوة التي كانت تلعب داخله متعجبة.. ثم خرجت منه وهي تقول: أتعلم أن "ماريا" تذكّرني بأسطورة مكسيكية اسمها "لا لورونا"؟

: أكملني!

"ليليث": هي قصة يخوفون بها الأطفال عن امرأة فائنة مغرورة كانت لا تهتم لأحد حتى تزوجت شخصاً لا يهتم لها.. فانتقمت منه بأن أغرقت أطفالها في النهر انتقاماً منه.. وهي تخرج كل يوم تنوح عليهم..

: ولماذا يخيفون بها الأطفال؟

"ليليث": يخبرون الأطفال أن من يخرج ليلاً ستخطفه النائحة تلك وتلقيه في النهر ليموت..

: أنا غير مطمئن لأمر تلك المرأة على الإطلاق..

"ليليث": ماذا حدث يوم المكتبة هذا؟ أخبرني!

وضعتها فوق شاشة الكمبيوتر أمامي وقلت: سقطت وأنا أتسلق المكتبة فسقطت جميع الكتب فوق

"ليليث": هل كانت الكتب مفتوحة؟

نظرنا لبعضنا في صمت للحظات..

: أتظنين أن هناك آخرين قد خرجوا ولا نعرف عنهم شيئاً؟

"ليليث" في حيرة: دعنا لا نتسرع

: لو حدث ذلك فهي مصيبة.. أنا لا أعرف أي الكتب كان فوق وأيها

كان مفتوحاً وأيها لمسته بيميني أو بيساري!!!

"ليليث": فلنفترض الآن أنها مجرد امرأة مريضة قد فقدت عقلها لا

أكثر وأن ذلك كله كان من محض الصدفة.

قطع حديثنا اتصالاً هاتفياً من عم "زمباع": ألو.. كيف حالك يا

أستاذ "عميرة"

: تحسنت في هاتين الدقيقتين اللتان تركتني فيهما.. شكراً لك.. خيراً

عم "زمباع": أريد أن أستأذنك في طلب يا بني..
قاطعته قائلاً: أقسم لك أنك لست في سنّ والدي.. أخبرني ماذا
تريد؟

عم "زمباع": لقد وجدت الدجاجة ذات الأربعة أرجل حيّة.. هل
أخذها لأرتبها؟

: دجاجة حية؟ وبأربعة أرجل؟ عم تتحدث؟

عم "زمباع": الدجاجة التي كنت تخبئها من عمك "زمباع" بجوار
باب المطبخ الخلفي

: متى وجدت تلك الدجاجة؟

عم "زمباع": ذات يوم سقطك والمكتبة فوق رأسك.. عندما كنت
أركض خلف الدجاجة ووجدت المرأة الحمراء التي هي أستاذة "زهام"
ولم تخبرني بأنها هي التـ..

: انتظر انتظر.. أحضرتي هذه الدجاجة حية

عم "زمباع": صراحة.. لـ. لقد ذبحناها وقمنا بشوائها في المقهى في
ذات الليلة.. لقد دعوت المقهى كله ليأكل منها..

قلت في غيظ: أخذت الدجاجة وأكلتها؟

عم "زمباع": لقد كانت كبيرة بحجم الكلب.. حتى أن أحد الشباب
قد أخبرني بأنها تشبه بالضبط شعار أندية الكرة..

: شعار الأندية؟.. الرجاء يا عم "زمباع".. عندما تجد شيئاً يخصّتي،
أن تحضره لي مباشرة لو لم يكن ذلك يضايقك أو به بعضاً من إساءة
الأدب

عم "زمباع": لا مشكلة.. أنا في سن والدك ويجب أن أتحمّلك

: تتحملني؟.. أرجو أن تحضر لي الكتب في أسرع وقت

عم "زمباع": كلها؟

: نعم، ولا تأخذ منها ورقة واحدة

عم "زمباع": سأحضر لك ما أستطيع إحضاره إذاً

قلت وأنا أستمّ مصيبة أخرى: هلا كففت عن الصياح في عمالك في أذني وتخبرني ماذا حدث؟

عم "زمباع": لـ. لقد تلفت الكتب ولم تعد أأ.. صالحة للاستخدام

: تلفت؟ هل كان يكتب جدّي على ورق الطعام؟ ماذا حدث قبل أن أفقد أعصابي

عم "زمباع": لقد بعث الكتب لبائع الروبوكيا.. ولكنني سأحضر لك النقود.. حدّ الله بيني وبين الحرام طبعاً..

...

قالت "ليليث": دجاجة عم "زمباع" تلك لا تبشّر بأي خير أبداً..

: ماذا تظنّينها؟

"ليليث" وقد رفعت حاجبيها: لو صدق حدسي فقد ذبح ذلك الرجل "غريفن"..

: "غريفن"؟

"ليليث": كائن خرافي بجسم أسد ورأس وجناحي عقاب

: اللعنة! ويقول لي دجاجة بأربعة أرجل؟

"ليليث": أسحب كلامي كاملاً.. أظنّك بالفعل قد أطلقت سراح

كائنات لا نعلمها..

: وماذا نفعل؟

"ليليث": أرى أن ننتبه جيداً.. فنحن لا نعرف ما قد نواجهه.. ولنبق
على حالنا هنا، أمثل دور الدمية وتعود إلى حياتك السابقة..

...

(صفحة أخيرة) ..

كان كلام "ليليث" هو ما حدث فقد كان هو الأقرب للمنطق ..

حتى هذه اللحظة. وهي تمثل دور الدمية فوق أحد الأرفف وكفّت عن المغازلة والقبل في الهواء .. وهي الآن سعيدة بألعابها كطفلة حمراء قزمية ..

عدت إلى حياتي السابقة بعد أن شرحت لوالدي قصة الفيلم الذي كنا ننتجه أنا والأستاذة "رهام" .. وكانت "ليليث" بالطبع هي الأستاذة "رهام" التي تزورني كل فترة ..

أصيبت أمي بصدمة من مشهد أصابعي المبتورة فأخبرتها بأنه كان حادث سيارة على طريق العزبة هو السبب ولم أرد أن أزعجها بذلك الخبر ..

يزورني "طنطل" و"سعلوة" على فترات بصفتهما صديقين كئيبين مقربين مئى .. وتناقشت معهما و"ليليث" في أن نحاول جاهدين أن نجد طريقة ليعود العالم بها كما كان .. العالم الطبيعي في مكانه والميثولوجيا في العالم الموازي ..

كما أخبرني "طنطل" بأنه كان قد ساعد "وانل" على التواصل مع "هي ووت" والاعتذار لها عن عدم تواجدي للفترة التالية .. ولذلك، فقد اختفت فجأة وسافرت إلى "بولندا" ..

يشرف عم "زمباع" هذه الأيام على بناء البيت من جديد وزراعة العزبة .. وهو لا يزال منتظر عرض الفيلم في السينما أو أن أحضر له نسخة مهربة منه .. كما أنه مصرّ أنه في سن والدي -رحمه الله- ..

وأخيراً، اتفقت أنا و"ليليث" على أن نزيّن الحائط بـ
"بوليفيموس"،
"آرتميس"،
"تينو"،
"جلجامش"،
"إدفن"
وأخيراً "أبوزيد الهلالي" ..
